أحمد بهاء الدين

اقتراح دولة فلسطين

وما دار حوله من مناقشات

منشورات دار الآداب - بيروت

اقتراح دولة فلسطين

الطبعة الأولى
كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨

مقدمة

عندمـا تفضلت دار الآداب واقترحت نشر « اقتراح اقامة دولة فلسطين » الذي طرحته على الرأي العام العربي منذ شهور قليلة في مجـلة « المصور » ، مع المناقشات الـتي دارت حوله ، ترددت للوهلة الأولى . فمسئولية الكتاب في تقديري غير مسئولية النشر في الصحف، النشر في الصحف ربما كان طابعه المميز هو السخونة، والانفعال الذي يعكس نبض الاحداث ، ولكن طابعه أيضاً في كثير من الأحوال قلةالتأني والقصور عن الاحاطة بكافة الجوانب التي تكتنف الموضوع . في حين ان الـكتاب يفترض التأني والتدبر واستيفـاء كل عناصر البحث : ففي « الكتاب » لا عذر للـكاتب من « ضيق الحيز » أو « حلول ساعة الطبـع » أو قلة صبر قارىء الصحيفة نفسه .

على انني لم ألبث أن رحبت باقتراح دار الآداب. فنحن

ما نزال نعيش في ظل النكسة الرهيب . ونحن بالتأكيد محتاجون الى السلاح والى الشباب الفدائي، ولكننا بالتأكيد محتاجون ـ وبالقدر نفسه ـ الى أن نفكر ونتناقش بجرأة وشجاعة ..

كذلك عدلت بسرعة حتى عن فكرة اضافة فصول جديدة أؤلفها عن الاقتراح ، مؤثراً ان تبقى للكتاب صفة « الوثيقة » التي تسجل المناقشة كما دارت في الحدود التي دارت فيها . فالاقتراح الذي طرحته ، لم أقصد به تقديم « برشانة » كل القضية ، بقدر ما قصدت به فتح باب الجدل حول قضايا تجمّد الجدل حولها ـ مع الأسف ـ من زمن بعيد ، وقفل فيها باب الاجتهاد . حتى بات العقل العربي يقبل ما هو شاذ أو غير منطقي ولا طبيعي ، لمجرد اعتياد النظر عليه ، أو لمجرد أن الظروف الشاذة أوجدته في وقت من الاوقات .. ولا أقول لمجرد ان مصالح ما قد ترتبت على أساسه . تماماً كما لو اعتاد المرء على رؤية آخر يقف على رأسه ، حتى أصبح هذا المنظر طبيعياً ، وأصبح يندهش لو رأى هذا الآخر يعتدل ويقف على قدميه ، رافعاً رأسه الى أعلى ...

نعم،ان الوضع بالنسبة للشعب الفلسطيني طيلة السبعة عشر عاماً الماضيـة كان مقلوباً رأساً على عقب ، لا أقل من ذلك . أصبح الشعب الفلسطيني في المؤخرة لا في المقدمـة بالنسبة لقضيته . خلت الساحة منه . شتته الصهيونيون ، ثم زاده العرب تشتيتاً ، حاولوا طمس شخصيته وإنهاء قضيته ثم تركوا لنا انجاز بقية المهمة .

ان اقتراح اقـامة دولة فلسطين ليس أكثر من هذا . ليس أكثر من المطالبة باعادة الامور الى نصابها. ليس أكثر من المطالبة بأن يعود شعب فلسطين ، بأهـــله وقدراته وأرضه ، الى الوجود والى مـكان الطليعة في هذه القضية بالذات .

وهــــذا لا يعني أن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً وانها أحد احجار الزاوية في بناء وحدتهم . ولكن هل هذا – بدوره – يقتضي اقصاء الفلسطيني عن قضيته ، كما كان حادثاً في معظم التسعة عشر عاماً الماضية ؟ ...

ولكن هذا على أي حال يدخل في باب مناقشة القضية ، الأمر الذي سيجده القارىء فيما يتلو من صفحات ...

فقط ، أحب هنا أن أشكر كل الذين تفضلوا وساهموا

في مناقشة القضية سواء كانت آراؤهم بالسلب أو بالايجاب .
فما نريد أن نكسبه هو المناقشة وإعمال الفكر واعتياد عدم النكوص على النظر الى قضايانا في عيوبها .. تحت شعارات ثبت عجزها مثل « الخوف من البلبلة » أو ما الى ذلك .

لقد خسر العرب الكثير جداً في محاولات « التدثر » بأغطية من عدم التفكير في جرأة وشجاعة ، يوماً بعد يوم .. الى أن أصبح الرأي العام العربي في ظروف كثيرة يبدو أشبه بالجسم الذي تعوّد التدثر والتحصّن بالأغطية حتى ضعفت مناعته وأصبحت أي لفحة هواء تصيبه بالعطب .

أحمد بهاء الدين

القسم الأوّل

الاقتراح

اعادة « دولة فلسطين » في الاردن وغزة

هذا الشعار هو بغير شك الشعار المنطقي والمناسب للمرحلة التي نحن فيها . انه يحدد حجم « الخطوة الأولى والضرورية » التي لا بد لنا من انجازها أولاً ، وهي اعادة قوى العدوان إلى خطوط ٥ يونيو قبل ان نفكر في خطوة أخرى .

ومع ذلك ، فان تصور ان « ازالة آثار العدوان » معناها عودة كل شيء في الواقع العربي إلى ما كان عليه تماماً وبالضبط ، تصور خاطىء ! ..

وكثير من الاوضاع سوف تتغير ، وكثير من الافكار والاساليب سوف تتغير ..

ولهذا يجب أن نفكر ، من الآن ، في بعض هذا الذي يجب ان يتغير . خصوصاً بعض ما يتعلق بقضية فلسطين بالذات .

أبسط ما يجب ان نتعلمه من النكسة هو ان نسال

أنفسنا ، هل كانت الطرق التي سلكناها لمحاولة تحريك قضية فلسطين طرقاً سليمة أم ان هناك طرقاً ومبادرات أخرى يجب ان نفكر فيها .. للحصول على الحق العربي الكامل ؟

ان كثيراً من الاوضاع العربية بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ ، أدت إلى تجميد الموقف العربي إزاء قضية فلسطين. كانت الحصيلة التي خرج بها العرب بعد ما يقرب من عشرين سنة هي مجرد « الرفض » اللفظي للوضع الذي تخلف عن سنة ١٩٤٨ ، حتى كسرت اسرائيل بعدوانها هذا التجمد وأصبحنا الآن أمام واقع ساخن جديد ...

وفي هذه الأيام التي نسمع فيها انباء المقاومة الفلسطينية الباسلة في الأراضي المحتلة ـ أول شيء جدي يجب ان يتم ويتدعم ـ يجب ان نستخلص من هذه الحقيقة أهم درس من دروس النكسة ...

ان أبسط وأهم شيء « للدفاع » ضد اسرائيل ، قبل ان نتمكن في ظروف أخرى من الخروج من خنادق الدفاع ، ولاحياء قضية فلسطين هو : ان تكون هناك أولاً فلسطين ..

الغزو الصهيوني سنة ١٩٤٨ نجح في اقتطاع جزء من فلسطين . ولكننا بدلاً من أن نبقي ما تبقّى من فلسطين متماسكا وصامداً ومطالباً،قمنا نحن العرب بتفكيك ما تبقى في أيدينا من فلسطين ...

الغزو الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، بدأ في تجميع المهاجرين واللاجئين اليهود من شتى انحاء العالم ليحولهم إلى مواطنين: مزارعين وصانعين ومحاربين . والعرب قبلوا تحويل المواطنين الفلسطينيين إلى مهاجرين ولاجئين ...

وعندما مرت السنون بعد السنين ، وبرزت فكرة ايجاد كيان فلسطيني وتنظيم فلسطيني ، وجدت المنظمة ، وهي فاقدة أهم شرط من شروط التعبير عن شعب وعن وطن : الارض ! هذا مع ان الأرض ، مهما كانت قد تقلصت، موجودة .. فاصبح « النضال » الفلسطيني يدار من القاهرة وبيروت وغيرهما من البلاد العربية .. الا فلسطين ! ...

وقد كان هذا كافياً لان يعطي العالم إحساساً عاماً بانه لم تعد فلسطين ، ولا شعب مطالب بأرضه هو شعب فلسطين .. انما هي دول عربية مجاورة تقاوم دولة أخرى

اسمها اسرائيل !!

لقد فرضت الظروف الدولية والاستعمارية أوضاعاً أخرى مشابهة – مع الفوارق العديدة طبعاً – في بلاد أخرى ، فرضت التقسيم في كوريا ... ولكن كل جزء يدعي انه هو الاصل لم يحلّ وجوده لان الاستعمار اغتصب جزءاً آخر . وفي فيتنام فرضت القوى الخارجية التقسيم، استسلمت لانتصار الثورة الوطنية في فيتنام الشمالية واحتفظت بقاعدة استعمارية في الجنوب . ولكن الوطن الناقص الذي لم يتمكن من كسب حقه كاملاً لم يحلّ نفسه بل دعم وجوده وجعل من نفسه قاعدة لتحرير الجزء المستعمر المغتصب ..

اذن ؟

اذن فنقطة البدء البديهية والضرورية التي لا بد ان تدرس بل وتقرر من الآن هي : ان تعود إلى الوجود دولة اسمها فلسطين !

دولة تضم الاردن ، بالضفة الغربية للنهر والضفة الشرقية له ، وتضم قطاع غزة .. أي تضم كل ما تبقى من فلسطين زائداً ما كان يسمى شرق الاردن واندمج في

السنوات الماضية بفلسطين ...

قد يقال : ولكن هذا اقتراح لا يغير شيئاً .. فهو مجرد تبديل اسم باسم .

والرد على ذلك : ان أي مبادرة سياسية يمكن ان تقف عند العنوان فقط وتبقى كالاناء الفارغ من محتواه ، ويمكن بالعمل الدءوب ان تصبح تغييراً جوهراً ، يملأ الاناء الفارغ بمحتوى جديد ...

ان اعادة اسم فلسطين في حد ذاته وكمجرد اسم ، سوف يكون له اثر معنوي وبالتالي سياسي كبير ازاء العالم وفي المراحل التالية للقضية : فها هو الاسم الاصلي القديم للبلاد قد عاد . ها هي دولة فلسطين التي اغتصب منها جزء تقف صامدة في الخط الاول أمام الاغتصاب تطالب بحقها المشروع ....

ياتي بعد ذلك ان اعادة اسم فلسطين إلى أرض فلسطين ، يجب ان يستتبع اعادة شعب فلسطين إلى أرض فلسطين ....

ماذا كان يحدث بصراحة في السنوات التسع عشرة الماضية لشعب فلسطين ، باستثناء من بقوا في ديارهم

الاصلية في الضفة الغربية ؟ ...

لم يكن أمام الفلسطيني الا أحد امرين : اما ان يكون لاجئاً عاجزاً في الخيام .. واما أن يتحول إلى فلسطيني سابق . يهاجر إلى افاق الدنيا كلها من كندا إلى امريكا اللاتينية إلى البلاد العربية كلها من الجزائر غرباً إلى الكويت شرقاً .

ومن الذين كانوا يهاجرون ؟ ... اكثر أبناء فلسطين قدرة أو كفاءة وموهبة . الذين تحولوا إلى رجال ناجحين. كرجال اعمال أو مهندسين أو اطباء أو اقتصاديين أو صحفيين .

كل العناصر المتقدمة من هذا الشعب الكفء الذكي لم يكن أمامها الا الهجرة ،والعمل خارج فلسطين، والتجنس بجنسيات غير جنسية فلسطين ، فمن بقي له أهل في الارض الاصلية بقي على صلة بها، ومن لم يعد له أهل انقطعت بينه وبين الارض الاصلية كل الصلات ...

هكذا .. بينما كانت اسرائيل لا تترك بابا الا وطرقته لتجتذب يهود اليمن أو اوروبا أو المغرب ، لكي تحولهم إلى مواطنين ، ولكي تكثف وجودها البشري والحضاري

والاجتماعي .. كان العرب يتركون الكيان البشري والحضاري الفلسطيني يتفرق ويتبعثر ويخسر أغلى كنوزه من الكفاءات البشرية بالتدريج ...

اعادة اسم فلسطين ودولة فلسطين اذن لا تكون لها قيمة كبيرة ما لم يصحبها عمل حقيقي لكي يتحول الموج من اتجاه الهجرة والتبعثر إلى اتجاه العودة والتكثف ، وهذا هو الامر الطبيعي . وقبل ان نتحدث عن « العودة » إلى الارض الفلسطينية المحتلة يجب ان نحقق العودة الى الارض الفلسطينية التي لا تزال فلسطينية. والجدار العربي المواجه لاسرائيل لا يمكن أن يكون منطقة من الفراغ ، ومخيمات اللاجئين ، والمجتمع الذي يتزايد فيه الفاقدون يوماً بعد يوم .. انما يجب أن يكون جداراً حضارياً قوياً : اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وبالتالي عسكرياً .

لا بد أن تقوم في وعاء « فلسطين » هذا حياة مختلفة ، حياة تستوعب كفاءات الشعب ولا تغريهم بالهجرة ، حياة تغري من هاجر بالعودة .. من باب الواجب والوطنية والرغبة في دفع القضية الى الامام، وإن كان يلزم عن هذا أن

يكون هناك أيضاً باب للعمل والحياة والنمو مفتوحاً ومتسعاً للجميع .

هذه الدعوة الى العودة الى فلسطين التي في أيدينا ليست قضية جانبية ولا ثانوية . فمع كل الظروف الدولية والسياسية المحيطة يجب أن تكون هناك فلسطين . صاحبة القضية يجب أن تكون حاضرة ،موجودة، ماثلة، مطالبة، ضاغطة . ولا شك ان الاحساس بأهمية هذا العنصر هو ما دعا مؤتمرات القمة الى ايجاد كيان فلسطيني ممثل في منظمة التحرير .. ولكن ما هو مقتل المنظمة وعنصر ضعفها ؟.. انها منظمة من غير أرض وغير شعب متكامل. منظمة أضعف كياناً من الوكالة اليهودية نفسها قبل قيام دولة اسرائيل : فالوكالة اليهودية والحركة الصهيونية ذاتها لم تكتسبا فعالية إلا من الالتصاق بالارض ، بالتمركز في أرض فلسطينيةهي مستعمراتها الزراعية ثم مدنها وتجمعاتها السكانية التي كانت تسيطر عليها .

وهذه الدعوة الى العودة ليست مسألة ثانوية . ان العنصر البشري هو العنصر الحاسم في هذا الصراع القومي.. هذا التصادم الحاد بين أقدار قومية أصيلة واقدار شعوب

غازية تريد أن تخلق قومية جديدة . العنصر البشري هو السلاح الحاسم في النهاية . والعنصر البشري الفلسطيني أولاً ، ثم معتمداً على العنصر البشري العربي كعون له وجزء منه وعمق استراتيجي له .. والعنصر البشري الفلسطيني ليس في العدد ، ولكن في النوع أيضاً .. في التعليم والكفاءة والانتاجية والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية للوطن .

لا يهم بعد هذا نظام الحكم ، ملكي أو أي شيء آخر . الوطن قبل نظام الحكم . الناس يختلفون في نظام الحكم وشروطه ولكن الناس لا يختلفون في الوطن . لا أحد يشترط لكي يعيش في وطنه ويعمل ويناضل فيه ان يكون نظام الحكم فيه على هواه ، أولاً وقبل ان يتحرك ، وشعور الفلسطيني بالعودة والعمل والنضال ومواجهة القضية لا يجب أن يكون أقل من شعور اليهودي الذي يهاجر من آخر اطراف المعمورة إلى وطن لم يره ولم يعرفه حتى ولا يتكلم لغته . والشعور الفلسطيني بالتأكيد ليس أقل ...

لتكن أمام الفلسطيني الذي يحمل اليوم جنسية لبنانية

أو كويتية أو ارجنتينية فرصة ان يحمـــل جدسيته الفلسطينبة ، ولا شيء غيرها ..

الملسطينيون لفلسطين ، وبعدها ستكون فلسطين للفلسطينيين !!

والذين يحملون أرواحهم على اكفهم ، ويناضلون اليوم في الاراضي المحتلة في أقسى الظروف ، يبرهنون على ان هذا هو الترتيب السليم للقضية ، وعلى ان هذا الترتيب ممكن تماماً !

هذا الاقتراح يلمس ، فوق ذلك ، موضوعاً دقيقاً حساساً هو : اللاجئون الفلسطينيون .. اقصد الذين ظلوا يسكنون المخيات حول حدود اسرائيل .. في غزة وفي سوريا وفي لبنان وفي الاردن ...

منذ سنة ١٩٤٨ ، أي منـــذ حوالي عشرين سنة ، يعيش ما يقرب من مليون فلسطيني في مخيات اللاجئين . يعيشون على دقيق هيئات الاغاثة الدولية ، ولا يشكلون أي حياة مدنية كاملة من أي نوع: لا يزرعون ولا يصنعون ولا يتعلمون بالدرجة الكافية ..

يعيشون في المخيات ، لانهم لا يشكلون الكتلة الكبرى

من الذين طردوا طرداً من أراضيهم وبيـوتهم . ولانهم رمز تصميم الشعب الفلسطيني على العودة إلى دياره .. أو على الأقل تطبيق القرارات المتتالية للأمم المتحدة في شأنهم .

ولا أحد يريد ان يصفّـي مشكلة هؤلاء اللاجئـين ممّـا يؤدي إلى اسقاط حقهم في العودة أو الغاء وضعهم في موضع المطالب بذلك ..

ولكن السؤال هو : هل تبقى هذه الكتلة الكبيرة من الشعب الفلسطيني ، وبعد عشرين سنة في المخيمات ، زمناً آخر في المخيمات نفسها ، زمناً لا أحد يعرف بالضبط متى ينتهي وهل سيقصر أو يطول ؟ ..

اعتقد ان هذا مستحيل ، وانه غير منصف لهم ، وأنه غير مفيد .

واعترف هنا انني لا أملك اجابة محدودة ازاء هـذه القضية ، في اطار هذا الاقتراح الشامل الذي اتحدث عنه عن احياء « دولة فلسطين » ..

ولكنني استطيع ان احدد هدفاً ،اطرحه على الكتّـاب والخبراء والمفكرين والسياسين للمناقشة في طريقة تحقيقه .

والهدف مزدوج :

ان تتحول هذه الكتلة السكانية حيثما كانت إلى أرض فلسطين التي بين أيدينا ، وان تتحول في أرض فلسطين إلى مجتمع قوى يتعلم ويتصنع وينمو ويستزرع ويتسلح .. ليكون « بيئة قوية » على الخط المواجه لاسرائيل ... لا ليبقى هكذا في اسار العجز والامية وعدم القدرة وعدم النمو ...

وألا يتم شيء ينهي حقهم في المطالبة بالعودة أو يكون فيه مساس باصل قضيتهم واساسها ...

ولا اظن ان هذا مستحيل ...

من المهم جداً ان تبقى قضيتهم ماثلة ، لان قضيتهم هي « رأس الحربة » في القضية الفلسطينية بوجه عام .

ولكن من المهم أيضاً ان يتحولوا إلى قوة ذات فعالية وأثر ، ان يكونوا طاقة فلسطينية عربية . ومرة أخرى لنتذكر ان اليهود يستقدمون المهاجرين وينشئون لهم المعسكرات . ولكنها معسكرات العمـــل والتدريب والتسكين والانتاج ...

هذا هو الاقتراح الذي اطرحه ...

واسمح لنفسي ان اكرر مرة أخرى ان قضية سكنى

الأرض والالتصاق بها ، وتحويلها إلى قاعدة قوية ، قــــد تبدو غير حاسمة وغير مؤدية إلى حل حاسم وسريع. ولكن فيها مبادرات وقرارات وتصرفات تخلق مع الزمن واقعاً قوياً مؤثراً .

واسرائيل تدرك هذا تماماً ، وقد تصرفت دائماً بناء عليه . مـا تـكاد تتمكن من شبر من الارض الا وتسرع إلى اقامة مستعمرة فيه، أي وحدة سكانية انتاجية مقاتلة، تلتصق بالارض التصاقاً حيـاً . انهم يسرعون إلى خلق حقيقة بشرية جغرافية سياسية جديدة .

هكذا كانوا يفعلون منذ ما يقرب من قرن ، عندما بدأت الهجرات اليهودية الأولى إلى فلسطين .. وهكذا فعلوا منذ ايام عندما بدأوا يقيمون مستعمرات جديدة بالقرب من مدينة القدس .

القسم الثاني

المناقشات

١ ـــ بداية جديدة

بقلم : شفيق الحوت

مشروع « الدولة الفلسطينية ». الذي اقترحه الاستاذ احمد بهاء الدين في « المصور » ، مشروع بالغ الاهمية والخطورة والحساسية .

ومما يضاعف في أهميته وخطورته وحساسيته ، انه يأتي في أعقاب نكسة يونيو ، وما فرضته هذه النكسة من واقع جديد نقف اليوم على عتباته بكل قلق وحذر .

وعلى الرغم من النوايا الوطنية الصادقة التي حدت بالاستاذ بهاء الدين لتقديم هذا الاقتراح ، وعلى الرغم من الاسلوب الهادىء الذي طرح به مشروعه ، وعلى الرغم من السلاسة المنطقية المقنعة التي اعتمدها للدفاع عن وجهة نظره، فانه من المشكوك فيه جداً أن تأتي كل ردود الفعل على هذا المستوى .

ومن المتوقع ، بسبب ما يثيره المشروع من ذكريات الماضي الأليمة، وما يحرك من مخاوف على طريق المستقبل، أن تاتي معظم ردود الفعل ضاجة صاخبة، ترفض التبسيط أو التجـــاوز لعدد من القضايا التفصيلية التي يتضمنهـا المشروع . وهي قضايا لم تغب عن ذهن الاستاذ بهاء الدين ، ولكنه مر بها برفق وتركها ــ وهو في رأيي محق ــ للعمل الدءوب والكفاح المتواصل ليبت بها ويحسم فيها .

غير ان هذا طبيعى ، لأن المشروع المقترح سيلغي-في حـــالة اقراره والمضي في تنفيذه ــ أو سيغير ، على أقل تقدير ، عدداً من الافـكار السياسية والمؤسسات السياسية والاجتماعية ، التي رغم قصورها وعجزها ، استطاعت أن تؤمن نوعاً من الراحة والاستقرار للمنادين بها وللمقيمين تحت راياتها .

وليس من السهل ان يقبل هؤلاء هذه النقلة الثورية الكبيرة ، حتى ولو كانت لصالحهم على المدى البعيد ، دون حد من المقاومة الطبيعية ، بل الغريزية ، لرفض كل ما هو « جديد » ! .

وقد كنت أوثر شخصياً ان أتريث بالتعليق على هذا

المشروع ، لعدة أسباب :

أولاً : لاني عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن المفروض ان تسبقني قيادة المنظمة إلى ابداء الرأي لا ان اسبقها انا .

ثانياً : لاني لم أستطع ان أتبين لمن يتوجه الاستاذ بهاء الدين باقتراحه الهام الخطير : للدول أم للحكومات ، أم للشعوب ومنظماتها الشعبية ؟ والدعوة ، كما نعلم ، حزء لا يتجزأ من الداعي اليها .

ثالثاً : لان من الصعب جداً ان اضيف على ما كتبه الاستاذ بهاء الدين حول المشروع واهميته وما يمكن ان يعكسه من آثار على مسيرة العمل العربي الفلسطيني . فالحق ان بهاء جمع فأوعى ، وبأسلوب نجا به من كل ما على الطريق من مطبات وألغام .

ولكنني ، وربما تحت وطأة دعوة الاستاذ الصديق إلى التعليق على المشروع ، احترت المغامرة ، وكتبت هـــذا التعليق مبرراً خطواتي هذه بما يلي :

أولاً : بالنسبة لعضويتي في المنظمة فقد وجدت ان في استباقي رأي القيادة ما قد يفيد هذه القيادة ، اذ لا بد ان

يثير ما اكتب ، حواراً داخلياً – على صعيـــد المنظمة – وربما خارجياً –على صعيد الشعب الفلسطيني– وسيغني هذا الحوار رأي القيادة بالواقع والاحاسيس الشعبية تجاه المشروع ، مما قد يسهل مهمتها في اتخاذ الموقف السليم منه .

ثانياً : لاني من المؤمنين بان هـذا المشروع ، يـكاد يكون «الشيء الجديد» الوحيد الذي طرح في ساحة الفكر العربي السياسي بعد نكسة « يونيو » ويشكل محاولة مطلوبة للخروج من المياه الآسنة التي ما برحنا نجدف فيها منذ عام ١٩٤٨ .

ثالثاً : لأن من حق الاستاذ بهاء الدين علينا، كزملاء في مهنة واحدة ، وكرفاق درب واحد ، ان نشاركه تبعات « البحث» عن جديد يدعم طريق النضال الحتمي والمستمر لتحرير فلسطين .

وكلنا يعلم انه من السهل علينا جميعـاً ان نقعد وراء خنادق النقد أو التقريظ على حد سواء ، في وقت اصبحنا جميعاً مطالبين فيه بالخروج من هذه الخنادق لنستكشف مسالك جديدة ومواقع جديدة .

ان المقياس النضـالي السليم والدائم الذي يجب – في

رأيي ــ اعتماده دوماً في الحكم على أي مشروع سياسي أو اجتماعي أو ثقافي يتعلق بقضيــة فلسطين ، يتركب من السؤال التالي :

ماذا يعكس هذا « المشروع » من آثار ايجابية وسلبية على مسيرة النضال الحتمي المستمر لتحرير فلسطين واعادتها عربية حرة ، كجزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبــير ومسيرته الصاعدة نحو النمو والتقدم ؟

ان الجواب عن هذا « السؤال ــ المقيــاس » يفرض بالضرورة بعد ذلك ، اتخاذ الموقف المناسب .

وتهون المشكلة لو كانت اجابات أهل الرأي والفكر متجانسة ومتشابهة . غير انه من طبيعة الأمور ، ان تكثر الاجتهادات وان تتباين ، خصوصاً أمام الاسئلة المصيرية .

ولا ضرر من ذلــك ولا خوف ، لأن الرأي الشعبي العام ، وهو يراقب ويشارك في « الحوار » القائم ، قادر في النهاية على الحسم واصدار الحكم المبرم .

وعندما اطلعت على مشروع الاستاذ بهاء الدين لاعادة «دولة فلسطين» طرحت على نفسي السؤال التقليدي ، في محاولة لاستكشاف آثاره على مسيرتنا النضالية الحتمية ،

بل وعلى هدفنا الاستراتيجي الذي لا يتغير .

وأول ما يتبادر إلى ذهني ، ولربما بسبب النكسة، وما قد تفرضه علينا مما لا يقبل به إلا المهزوم ، الخوف من ان تكون هذه الدولة الفلسطينية المقترحة بديلاً عن فلسطين التي نعرف والتي نكافح من أجل تحريرها .

وعدت لقراءة المشروع من جديـــد ، فوجدت ان الاستاذ بهاء الدين قد سبقني إلى هذا التخوف، فكان صريحاً واضحاً في ما كتب ودعا اليه ، بل انه وضع مشروعه كله في خدمة الهدف المقدس وهو التحرير ، مشيراً إلى ذلك بعدد من الامثلة في الواقع الدولي ، وكلها أمثلة مقبولة ويحاول التشبه بمواقف أهلها .

ما هي المخاوف الأخرى ، التي قفزت إلى صدري ، واظن انها قفزت إلى صدر غيري ؟

هناك قضية النظام ، التي لمسها الاستاذ بهاء الدين برفق وذكاء وتقدير سليم للأمور .

مع ذلك فاني أشك بأن تمر هذه القضية بهـذا اليسر لدى الفريقين المعنيين به .

شخصياً ، أوافق الاخ بهاء تماماً على ان الخلاف حول

النظام لا يجوز أن يصل الى حد الخلاف حول الوطن .

ولكن ، عملياً، هل هذا ممكن ؟ هل باستطاعة الفريقين المعنيين أن يقفزا من فوق تجربة معقدة عمرها عشرون عاماً تقريباً ، وكأن شيئاً لم يكن ؟

حتى لو أخذنا الضمانات من قيادتي الفريقين لتجاوز ما مضى والبداية من جديد ، فهل تستطيع هاتان القيادتان أن تضمنا وتضبطا المنتفعين من أفراد ومؤسسات الواقع المرير الذي تحياه قضية فلسطين وشعبها منذ عشرين عاماً؟

لهذا تساءلت وأنا أقرأ المشروع عن الجهة التي يقدم الاستاذ بهاء اليها مشروعه . هل يقدمه للنظام القائم في الاردن ليصدر فيه مرسوماً رسمياً ، أو للشعب في تلك الأرض التي يريد الأخ بهاء اعادة الدولة الفلسطينية اليها ، كشعار نضالي يحتم كفاحاً ونضالاً واقناعاً ؟

أو لعله مشروع، يجدر بالملوك والرؤساء أن يطرحوه، وباسم مصلحة الأمة ، على الأطراف المعنية ؟

مرة أخرى نعود الى المشروع ونضعه على « السؤال ـ المقياس » . فماذا نجد ؟

ان تحرير فلسطين ، وعودتها عربية خالصة ، واعادة

شعبها اليها ، كان ولا يزال يسير في رأيي – على خطين:

خط سريع النفس ، يؤمن بالضربة السريعة الحاسمة، ويهيء لتوفير الشروط المطلوبة لدعم امكانيات هـــذه الضربة . وقـد كان الرأي العام العربي يراهن كثيراً على هذه الضربة ، بل ويرفض ان يرى سبيلاً غيرها .

وخط طويل النفس بعيد المدى ، يؤمن بان معركتنا مع اسرائيل معركة حضارة ومستوى . واننا لـكي ننتصر على هذه الموجة الحضارية – ولا سيما وجههـا التكنبكي – لا بد لنا من ان نبني أنفسنا ونهيء شعبنا على هذا الطريق نفسه . ولم يقلق أصحاب هذا الرأي عنصر الزمن ، بـل كانوا على ثقة بأن الزمن مـع العرب ، وأن اسرائيل الى زوال مهما طال المدى .

وبين الخطين ، العاجـل والآجل ، لتحرير فلسطين ، سارت مسيرتنـا السياسية دون أي تناقض بين الخطين . غير أن نكسة يونيو الماضية ، فتحت العقل العربي، وحتى العاطفة العربية ، اكثر بكثير لتقبل الخط الآجـل دون مرارة أو يأس .

وفي رأيي ان مشروع « الدولة الفاسطينية » في حالة

تنفيــذه يدعم خطى العمل التحريري ويخلصنا من أرق مرض على مصير فلسطين وشعب فلسطين ، وهو أرق في محله طالما أن شعب فلسطين يحيا حياة المنفى واللجوء بدلاً من حياة الوطن .

في العهد الصليبي ، لم يضر بيت المقدس ان يبقى ثمانين عاماً في قبضة الاحتلال ، لأن الجوار « الاسلامي » كان قائما من حوله غير مهدد وغير قلق. وأعاد « الاسلام » بيت المقدس وحرر كل أجزاء فلسطين .

وكذلك بالنسبة للخط العاجل ، الكفاح المسلح ، ألا يبرر وجود دولة فلسطين نضال أبنائها من أجل استرداد جزء منها ، ألف مرة أكثر مـــا يبرره « العون العربي » والدعم من خارج الحدود ؟ أو لم يكن هكذا الوضع بالنسبة لفرنسا« وألزاسها »التي اقتطعت منهاوبقيت تحت سيطرة الالمان حوالي الأربعين عاما ؟

حسنات المشروع وفوائده الأخرى كثيرة بالاضافة الى فائدة ، في رأيي تفوق كل فائدة .

ان تفكيك بقايا فلسطين كان يعني لبريطانيا الاجهاز النهائي على المشكلة .

فلماذا لا نقلب المخطط الاستعماري رأسا على عقب ، ونحيل ما أراد الاستعمار ان يكون سببا لازالة الكيان الفلسطيني الى قاعدة لإحياء هذا الكيان ؟

يبقى بعد هذا ، نقطة أجد من الضروري التعرض اليها دون غيرها لأهميتها بالنسبة لشعبنا في الاردن الذي احترنا واحتار معنا في هويته .

ان التسمية الاردنية ـ بعد ان شملت الضفة الغربية وجموع النازحين من ابناء فلسطين ـ خلقت بالرغم منها ازدواجية غير مقصودة .

فالفلسطيني المتمسك بفلسطينيته في الاردن،لايتمسك بهويته السابقة تحدياً او رفضا للتسمية الاردنية ، وانما يتمسك بها تحديا ورفضا للاحتلال الاسرائيلي .

وقد سبب هذا الكثير من المشاكل لا للحكم القائم فحسب ، بل وللشعب كذلك بما فيه من طلائع نضالية .

وما اكثر ما سمعت ، بعد قيام المنظمة ، من مناضلين اردنيي الأصل السؤال المحرج التالي :

ـ ونحن ، يا ابناء فلسطين ، أليس لنا من دور في معركة التحرير ؟ ولعل المنظمة كانت تجد في هذا الموقف

حرجا لا تتمناه ولا تريده ولكنهـا كانت تخشى إن هي قبلت في عضويتهـــا الاردني الأصيل أن تسقط الهوية الفلسطينية النضالية عن واجهتها ، ولا سيما أمـام الرأي العام العالمي .

واني ارى ان تسمية الاردن بفلسطين يحـل مشكلة الازدواجية هذه ، ويفسح للاردني الاصيل الفرصة الـتي تمناها للمشاركة في الكفاح من اجل التحرير .

ولا حاجة بنا ـ على مـــا اظن ـ للخوف من أي حساسية داخلية ، وشعب الاردن، إن فاته معرفة التاريـخ الواحد، فهو ضنين وحريض بالا يفوته المستقبل الواحد.

٢ ــ اوافق على الاقتراح

بقلم : صبحي ياسين

قرأت في عدد مجلة « المصور » الصادر يوم ١٢ اكتوبر الاقتراح المحدد الهادف الى اعادة دولة فلسطين في الاردن وغزة . وقد خيل الي أن الكاتب يتصور امكانية عودة اسرائيل الى حدود ما قبل الخامس من يونيو بقرار سياسي دولي حتى تدفق بالحماس وقدم الاقتراح المحدد لينفذ بعد الجلاء الاسرائيلي .

ومن جهتي كنت ولا أزال احترم اجتهادات الاستاذ بهاء ومحاولاته الجادة المتواصلة لتعميق نظرة الانسان العربي الى نفسه وما حوله .

ومع ذلك فاني أرى ان ينقسم التعليق على الاقتراح الى قسمين :

القسم الاول الاقتراح نفسه لو اصبح الوضع فعلاً كما

يتصوره الـكاتب بعد جلاء العدو عن الاراضي الجديدة التي هي الآن تحت الاحتلال .

والقسم الثاني الحل الحاسم كما تؤمن به القاعدة الجماهيرية في الوطن العربي كله وهو ازالة الوجود الاسرائيلي ككيان مستقل عن أي جزء من ارض العرب. ولا أعتقد ان الكاتب سيتصور التفاؤل نوعاً من الخيال الذي يتهم به في اوروبا الانسان العربي، وأتصور أيضاً أننا بالحوار الهادىء الموضوعي نستطيع أن نعالج قضايانا الاساسية الكبرى كقضية فلسطين وهي اكبر قضية عربية وعالمية .

ونأتي الى القسم الأول وهو ما سمي باعادة دولة فلسطين من الاردن وغزة. وأعترف انه بالرغم من تخصصي بدراسة تاريخ فلسطين لم أجـــد أي مصدر يرشدني متى قامت في فلسطين والاردن دولة واحـــدة مستقلة إلا في سنوات الاحتلال البريطاني العسكري بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٢ قبل تطبيق سياسة الانتداب البريطاني ، وبالطبع لم تكن دولة في تلك الفترة . وخلال العهد العثماني كانت فلسطين والاردن اجزاء من ولايات دمشق وصيدا مـــع استقلال متصرفية مدينة القدس، وقبل ذلك كانت فلسطين والاردن

جزءاً من الدولة العربية الاسلامية منذ عهد الراشدين الى عهد الفاطميين وأخيراً المماليك .

أمـــا من الناحية الثانية فلم يكن عرب فلسطين بعد النكبة اصحاب فكرة الغاء اسم بلادهم العزيزة من خارطة العالم،بل ما حدثهو العكس تماماً. ومن المؤكد ان الكاتب الواسع الاطلاع قرأ عن المؤتمر الوطني الفلسطيني الذيعقد بمدينة غزة خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ وأقر قيـــام حكومة عموم فلسطين على أرض فلسطين تحدياً لمؤامرة محو اسم فلسطين التي نفذتها الحكومة البريطانية .. لإزالة اسم فلسطين بقصد بعثرة الشعب الفلسطيني العربي وتأمين الاستقرار لاسرائيل .

ومن هنا أتفق مع الكاتب على ضرورة التمسك بدولة فلسطينية إلى أن نهزم العدوانالاسرائيلي، وبعد ذلك لا بد أن تكون فلسطين قطراً من دولة عربية واحدة . ومن البديهيات ، وقد أشار اليها الكاتب ، ان نفرض على الدول العربية دعم الدولة الفلسطينية بامكانيات مادية كبيرة لدعم الدولة التي سيحشد فيها ثلاثة ملايين انسان مع العـــلم ان طاقاتها على الاستيعاب لن تزيد على نصف هذا العدد،وذلك

حتى نجعلها ترسانة عسكرية وصناعية لمواجهة دولة اسرائيل التي تتلقى مساعدات متواصلة من الصهيونية العـــالمية وأمريكا والمانيا الخ ، حتى نوع نظام الحكم الذي أشار اليه الكاتب ممكن التفكير فيه في مرحلة قادمة أكثر هدوءاً من المرحلة القلقة القائمة .

ومن جهة الانسان الفلسطيني فانه بأكثرية حشوده لم يهاجر إلى وطن مجاور إلا لأسباب كانت معالجتها مستحيلة بعد النكبة الأولى ، ومع ذلك استقر مؤقتاً في أراضي الدول المجاورة ليكون متأهباً لخوض معركة جديدة .

أما النفر القليل الذي تخلى عن جنسيته الفلسطينية فهم قلة، منهم المرتد ومنهم من عجز عن الحصول على لقمة العيش لأطفاله إلا بجنسية جديدة .

ونأتي الى معالجة الشطر الآخر من القسم الأول ، وهو موضوع الرأي العام العالمي. وأستطيع تطويعه بين الافراد والحكومات . ومن جهتي لا أصدق ان أحداً في العالم من الذين يقودون الرأي العـــام في بلاده يجهل باطل الوجود الاسرائيلي في فلسطين ، حتى أنصار اسرائيل : فما زالوا يربطون بين مذابح النازي لليهود وهجرتهم الى فلسطين ،

وهذا الربط لا يقنع انساناً واحداً إن كان مثقفاً أو جاهلاً إلا إذا ربطنـــا بين المذابح الامريكية للشعب الفياتنامي وضرورة اخلاء المانيا مثلاً للشعب الفياتنامي ..

وإذا كان لا بد من التحديد فها هو مثل الفيلسوف الشهير سارتر الذي زار الجمهورية العربية المتحدة وقابل رئيسها ومجموعة من كبار المثقفين ثم زار قطاع غزةوشاهد المأساة على الطبيعة وتظاهر بأنه اقتنع بعودة اللاجئين الى ديارهم على الأقل ثم كان أول من بارك العدوان الاسرائيلي على دول عربية منها الجمهورية العربية المتحدة .

أما بالنسبة للحكومات فهي بأكثريتها الساحقة تحدد مواقفها من القضايا العالمية على ضوء مصالحها الاقتصادية والسياسية . وقد اتضح هذا الأمر بما لا يقبل الجدل خلال مناقشة ما سمي بأزمة الشرق الأوسط في هيئة الامـــم المتحدة .

٣ ــ المقاومة هي الاصل

بقلم : غسان كنفاني

سيبدو اقتراح احمد بهاء الدين حول اعادة خلق دولة فلسطين في الاردن وغزة «المصور ، ١٣ اكتوبر» للكثيرين وكانه وضع الحصان وراء العربة . أما أنا فاعتقد ان المشكلة أصعب من ذلك ، لأنها مزدوجة . وإذا كان الوقت الآن هو الوقت المناسب لفتح الدفاتر القديمة كي يسهل علينا التعرف على الدفاتر الجديدة ، فان أسوأ ما في تلك الدفاتر هو أن عرب فلسطين ، والعرب عموماً ، رفضوا اقتراحاً مثل اقتراحك عام ١٩٤٨ . وفي ١٥ ايار من ذلك العام ، حين أعلنت اسرائيل في منتصف الليل تشكيل حكومتها الأولى لم يكن يخطر على بال أي عربي انه لو اعلن العرب في تلك الليلة حكومة فلسطينية لتغير الكثير مما حدث في العشرين سنة اللاحقة .

هل يمكن تصحيح ذلك الخطأ بعد عشرين سنة وبعد كارثة أكثر مرارة من كارثة ١٩٤٨ ؟ لا شك أن ذلك ممكن شرط ان نعترف منذ البدء انه سيكون هذه المرة أكثر صعوبة وأقل فعالية مما كان عام ١٩٤٨ ، ولكن ذلك كله لا يعني على الاطلاق أن الاقتراح ليس المدخل الجدي لميدان تبدو أبوابه جميعها ، الآن ، مسدودة تماماً .

على ان البحث في هذا الاقتراح الجريء يستلزم تسجيل عدة نقط ، في البدء ، لها علاقة ، مباشرة أو غير مباشرة ، بالأمر كله :

أولاً : لقد كانت اكبر جريمة ارتكبت في حق شعب فلسطين ، بعد الجريمة التي ارتكبتها الصهيونية المتحالفة مع الامبريالية ، هي جريمة خلع الفلسطينيين عن قضيتهم ، ثم خلع ما تبقى من فلسطين عن الفلسطينيين ، وذلك في الواقع لم يحدث منذ عام ١٩٤٨ ، ولكن منذ ١٩٣٦ حين كانت الثورات الفلسطينية تشكل عملياً زيادة الحركة العربية باتجاه التحرر وكانت الأنظمة العربية لا تزال عاجزة عن ادراك الارتباط العضوي بين الصهيونية والاستعمار ولا تشعر بالخجل حين توجه للفلسطينيين نداء

بانهاء الثورة اعتماداً على وعود « صديقتنا بريطانيا » .

ثانياً : لقد أدى عزل الفلسطينيين عن قضيتهم، المتعمد أو غير المتعمد ، الى « سلب الفلسطيني » بعد ان تم سلب أرضه ، وهذه المقارنة أقصدها قصداً ، فقد حدث على صعيد العنصر البشري ما حدث على صعيد الأرض . انتهكت الأرض الفلسطينية وانتهك الانسان الفلسطيني.. وكما ان ما تبقى من الارض الفلسطينية لم يترك ليظل فلسطينياً كذلك فان ما تبقى من شعب فلسطين لم يترك ليظل ، بالمعنى النضالي ، فلسطينياً .

ثالثاً : ان مسألة الكيان ، تبعاً لذلك ، ظلت مسألة سلبية وغير قادرة على الارتفاع الى المستوى المطلوب، ليس فقط لأن الكيان بحاجة الى أرض ، الى رقعة مهما كانت صغيرة ، ولكن لأن الدول العربية التي اعتادت على أن تكون وصية على الشعب الفلسطيني لم تستطع ان تتخلى عن هذه الوصاية عملياً ليقررها شعب فلسطين بنفسه .

ان هذه النقاط ، باعتقادي ، تؤدي بالضرورة الى تبني اقتراح احمد بهاء الدين إذا كانت تتوفر حقاً نية مساعدة الشعب الفلسطيني على استرداد نفسه وأرضه وتولى الريادة

من جديد في ميدان الصراع المصيري الراهن ، ومع ذلك فان دولة فلسطين التي اقترحها احمد بهاء الدين هي الضفة الغربية والضفة الشرقية وغزة (وأضيف : الرقاع الواسعة على الحدود السورية) تحتاج الى ما هو اكثر من مجرد قرار سياسي يعتمد على مبدأ جغرافي .

ان ذلك يعيدنا الى قصة الحصان والعربة ، وأعتقد هنا انه من المضيعة للوقت ان نقول فيما اذا كان اقتراحك قد وضع الحصان أمام العربة أم وراءها لأنني أعتقد ان لا الحصان ولا العربة بين ايدينا الآن .

ان حركة انشاء « دولة فلسطين » يجب ان تترافق حتماً مع حركة « انشاء » الانسان الفلسطيني الجديد ، وذلك دور لا بد للدول العربية مجتمعة ان تأخذ على عاتقها طالما انها كانت ولا تزال تعتبر نفسها وصية عليه ، بناءه ، جنباً الى جنب مع شعب فلسطين ذاته .

لقد استطاع الفلسطيني ، خلال ٢٠ سنة من التيه والمنفى ، ان يصمد في وجه كل الظروف القاسية التي واجهته ، ولا أعتقد انه تخلى عن هويته الفلسطينية رغم كل شيء ، ولكن الذي لا شك فيه ان العلاقة بين

الفلسطينيين صارت علاقة المنفى والتشرد وليست علاقة الثورة . وأنا أعتقد أن الدعوة إلى « أرض » ينبغي أن تترافق مع دعوة إلى خلق علاقة جديدة بين الفلسطينيين وبينهم وبين الدول العربية ، وهذه مسألة موازية في الأهمية لمسألة انشاء الدولة الفلسطينية ، لأن الدولة هذه لن تنشأ لتكون دولة عادية ، انها « دولة ــ مرحلة » ، « دولة ــ مهمة » ، « دولة ــ رسالة » ، وذلك يعني فوراً انه من المطلوب ــ جنباً إلى جنب مع خلق دولة فلسطين ــ خلق شعب قضية هذه الدولة .

وليس هنا مجال الحديث بالتفصيل عن كيفية حدوث ذلك ، ولكن لا شك أن في طليعة ما ينبغي عمله هو انشاء علاقة جديدة بين الدول العربية وبين الفلسطينيين كي تصبح هذه الدولة الجديدة مثل « عقدة القنطرة » في عروبة قضية فلسطين، ثم ايجاد وسيلة ، سواء بالارغام أو بالاختيار لحشد شعب فلسطين بكل امكانياته المهدورة ، التي تحدثت عنها في ميدانه الأصلي ، ووضع استراتيجية عربية وفلسطينية لتأخذ هذه الدولة على عاتقها رسالتها .

وذلك كله يلفت نظرنا لمحاذير خطرة في هذا النطاق :

أولها أن تعتبر هذه الدولة حلاً للقضية الفلسطينية، وثانيها أن تكون حجة للرأي العام الدولي في تصفية قضيةفلسطين اعتماداً على ما يفهمه العالم - خطأ - من أن قضية فلسطين هي قضية لاجئين ، وثالثها فشل هـــذه الدولة في احراز اعتراف دولي كاف ، ورابعها قدرتهـا على أن تكون ، من ناحية ، كباكستان مشطورة من الوسط ، وأن تكون - من ناحية أخرى - قادرة ، كألمانيا الغربية ، على فرض مبدأ مثل مبدأ هولشتاين ، وخامسها قدرة هذه الدولة على الصمود أمام حملات اسرائيل الانتقامية .

انـــه من المثير للانتباه حقاً أن تكون المقاومـــة الفلسطينية في الأراضي المحتلة أقدر من غيرهـا على ربط قدر الضفة الغربية لغزة ، وذلك يعزز بلا شك نظريتك ويعطي لاقتراحك مبرراته الموضوعية ، ولا شك أن هذه المقاومة ، في درجاتها اللاحقة ، ستكون أيضاً أقدر على أن تحقق وجهي اقتراحك المتلازمين : خلق الدولة - الرسالة، وخلق الشعب المقاتل .

٤ ـــ الوقت غير مناسب

بقلم : وليد الخالدي

تحدث المفكر الفلسطيني الاستاذ وليد الخالدي معقباً على اقتراح أحمد بهاء الدين بانشاء دولة فلسطينية فقال :

« أعتقد بأن الوقت الحاضر ليس هو الوقت المناسب لبحث مثل هذا الاقتراح .

فهناك أولوية لا يمكن تقديم أي شيء آخر عليها وهي ضرورة انهاء آثار العدوان الاسرائيلي وتطهير الأراضي المحتلة التي سقطت بعد ٥ حزيران ـ يونيو . فالعمل لإزالة آثار العدوان ليس أولوية عـــادية في قائمة برنامج سياسي معين ولكنها أولوية مطلقة. وأقول مطلقة، لأنها تستدعي توفير كل عناصر تحقيقها أولاً ، واستبعاد أي شيء يمكن أن يؤثر قليلاً أو كثيراً في تضافر الجهود وتوحيد الطاقات من أجل انهاء العدوان والاحتلال أو أي شيء يمكن أن

يزاحم هذه القضية الأساسية أو يؤدي إلى قيام قضيتين .

في رأيي أن المقاومة العربية في فلسطين المحتلة، وبقية الأراضي العربية المحتلة ، هي المسالة التي يجب أن نركز عليها حالياً .

وفي هـــذا الصدد ، فان فلسطين كلها خاضعة اليوم للاحتلال الاسرائيلي وهذايجعلنا نواجه قضية حاليةوقائمة، وهي كيف ننهي آثار العدوان ونزيل الاحتلال الاسرائيلي، هذه هي القضية اليوم . أما بعد ذلك ، فان قيـــام دولة فلسطينية أو اعادة اسم فلسطين يمكن أن ياتي في أعقـاب انهاء آثار عدوان ٥ يونيو .

وأعتقد أن اعادة اسم فلسطين ممـكن في هذه المرحلة بقيام مقاومة فلسطينية وحركة فلسطينية شعبية مسلحة ضد الاحتلال الاسرائيلي .

أما اقتراح قيام دولة فلسطينيةفي هذه المرحلة أو بحث قيامهـا فيؤدي الى خلافات ومناقشات واثارة حساسيات لا حد لها ، ستؤثر حتماً على الجهد المطلوب لدحر العدوان في هذه المرحلة .

وقد مس الاستاذ أحمد بهاء الدين قضية النظام والدولة

مساً سريعاً ، ولكنها ، متى بحثت جدياً فانها ستثير طائفة من ردود الفعل الـــتي ستؤدي إلى بعثرة الجهد واثارة الخلافات . لذلك ، فاني أعتقد بأن المرحلة الحالية لا تحتمل سوى قضية واحدة هي ازالة آثار العدوان وتجميـع كل القوى لخوض المعركة المصيرية .

أما بعد ذلك .. فيمكن بحث، بل يجب، بحث مثل هذا الاقتراح الهام .

٥ ــ صيغة ايجابية بناءة

بقلم : كلوفيس مقصود

أخي الاستاذ بهاء

قرأت في العدد الماضي من المصور اقتراحك المحدد بشأن اعادة دولة فلسطين ، واني إذ أرحب بهذه المبادرة فلانها تضع أمام الجماهير العربية صيغة للتفكير الإيجابي البناء كبديل لصيغة « الرفض اللفظي » الذي أشرت اليه .

وهنا لا بد من الاستدراك بأن الرفض ، ليس دليلاً على تفكير سلبي بل قد يكون تعبيراً عن موقف نضالي إيجابي يستلزم الرفض .

وبالتالي فلا بد أن نحدد متى يكون موقف الرفض إيجابياً نضالياً ، ومتى يكون سلبياً يشكل نزيفاً عقلياً هادراً لطاقات النضال . ان الرفض العربي أدى دوراً هاماً في انه أبقى حالة الاصطدام مع اسرائيل قائمة نظرياً

وبالتالي محتملة واقعياً . كان الرفض العربي مع كل شوائبه ونواقصه واندفاعاته اللفظية الخاطئة هو الذي حجب عن اسرائيل سمة الشرعية في المنطقة ، وبالتالي جاء اعتراف بعض الدول بها وكأنه يحمل في طياته محاولة طمس اللاشرعية وتغطية الكيان الصهيوني بغطاء من الشرعية الاستعمارية المفروضة . فالرفض ـ حتى اللفظي منه ـ رغم عدم كفايته فانه عبر عن لاشرعية الاغتصاب الصهيوني في ظروف لم يتمكن فيها النضال الفلسطيني العربي من تصفية الاغتصاب .

فاذا كان الوجود الاسرائيلي أمراً واقعاً ، فكذلك موقف الرفض العربي هو أمر واقع أيضاً ، وبمجابهة هذين الامرين الواقعين يصبح الواقع قابلاً للتغيير ـ تحويلاً أو تعديلاً ـ .

ان اسرائيل كيان غير شرعي في الوطن العربي ، وبالتالي فمقاومة هذا الكيان هو شرعي تماماً ، كما كان الكيان الفرنسي في الجزائر غير شرعي ومقاومته هي التي كانت شرعية ، والكيان العنصري الابيض في روديسيا وافريقيا الجنوبية هي غير شرعية . والمقاومة لها هي الشرعية .

الأساس هو التمسك لا بالحـق العربي في فلسطين فحسب ولكن بلاشرعية اسرائيل أيضاً ، وفي هذا المضمار يمكن لنا أن نفرق بين الموقف المبـدئي والنظري للامة العربية والمسلك السياسي والدبلوماسي والدعائي للدول العربية . وهنا تكمن الإيجابية البنـــاءة في الاقتراح الذي تقدمت به ، إذ أن سلوك الدول العربية من حيث تأمـين الكيان الفلسطيني وقيام المجتمع الفلسطيني جاء متأخراً ومبتوراً ـ أي بعد مؤتمر القمة ١٩٦٤ ـ ومن صحة قولك اننا « قمنا نحن العرب بتفكيك ما تبقى في أيدينـــا من فلسطين » بعد الغزو الصهيوني عام ١٩٤٨ . واستتبـع ذلك ان تبعثر النضال الفلسطيني ، وصار يدار كما ذكرت من القاهرة وبيروت وغيرهما . ولكن رغم هذه البعثرة التي تتحمل الدول العربية مسئوليتها فقد بقيت قضيـة فلسطين مترسخة ، لا بين الفلسطينيين فحسب، بـــل في الوجدان القومي العربي ككل . فكأن الوجدان القومي الشامل الذي رفض الاغتصاب الصهيوني لجزء من فلسطين رفض أيضاً في الوقت نفسه قبول البعثرة الكيانية لفلسطين في التقاسم الاداري الذي نشأ بعد ١٩٤٨ . وكانت قناعـة

الوجدان العربي القومي بأن نمو المنطق الثوري لا بد أن يسهم في تصحيح هذا الوضع ويؤمن الاداة الضاربة ضد الصهيونية واهدافها . وكان مؤتمر القمة العربي الأول ١٩٦٤ الذي اعترف بالكيان الفلسطيني البداية البسيطة لعملية التصحيح الثوري التي بدورها استمرت تتعثر نتيجة لتعثر الثورة العربية الشاملة ..

وهناك بعض المحاذير التي لا بد أن ننوه بها ، ولعل توضيح بعض الافكار في هذا المضمار ينير السبل أمام العمل الدقيق . انا لا أقر أن هناك لاجئين فلسطينين بل هناك شعب اضطر للنزوح عن فلسطين . فاللاجىء في الأساس حالة فردية يدخل فيها عامل التصميم والارادة على اللجوء. لكن واقع الفلسطينيين الذين نزحوا هو ان القوة المادية والعسكرية للمغتصبين نزحت أهالي فلسطين . فهي بالتالي لم تعد حالات فردية أو ان وجودهم في الدول العربية ليس من قبيل ارادتهم أو تصميمهم . نورد هذا لأن المفردات السياسية والقانونية لها مدلولات إذا استمررنا في استعمالها الخاطىء فانها تؤدي إلى سوء فهم وسوء تقدير وفوضى في المعاني لدى قطاعات كثيرة تعتبر نفسها في صف قضيتنا

ومؤيدة لنضالنــــا . فاذا نحن استعملنا كلمة « لاجىء »
فالعرف يقضي بأن للاجىء حق الاختيار في البقـاء في
البلد المضيف وان قضيته تبقى محصورة ضمن الاطـار
الفردي للمعالجة . النازح الفلسطيني ليس له قضية فردية
ـ رغم انه قد يكون عنده مشاكل فردية ـ بل هو جزء
من قضية شعب وبالتالي ليس له وضـع اللاجىء ولا حقوقه
أو حدوده . فالفلسطيني النازح يفترض ان النزوح مسألة
مؤقتة ومرحلية ، وبالتالي فهو في حـالة التأهب للعودة
والاستعداد للعمل في استرجاع وطــــن ـ أو قطعة من
وطن ـ سليب واسترجاع حق مغتصب . فليس هناك
فلسطيني لاجىء بل هناك فلسطيني نازح ، وفي حالة تقرير
هذا الواقـع ـ واقـع النزوح الفلسطيني ـ عندئـذ يطرح
السؤال الكبير عن ما هو المنطلق الاسلم لتأهب هـادف
وقادر على تأمين العودة .

ومن هنا يتبين أن الاقتراح الذي تقدمت به بشأن قيام
دولة فلسطين هو صيغة ايجابية بناءة لا بد أن تلازم وتغذي
واقع الرفض العربي الشامل للكيان الصهيوني . واني متفق
معــــك بأن عودة اسم فلسطين لمجتمع التأهب والعودة

ضرورة نفسية وتاريخيـة وقومية . نفسية ، حتى تلتصق القضية التصاقاً تاماً بالارض المتوفرة والمغتصبة . وتاريخية، حتى يتمكن النضال الفلسطيني من ربط مقاومته للاغتصاب الصهيوني الحالي بسوابقه النضالية ربطاً عضوياً يرجـع للقضية اطارها الكامل ويمكن العالم من فهمها فهماً دقيقاً كونها استمراراً طبيعياً ومتزايداً لنقمـة الشعب على المغتصبين، سواء جاءوا بغطاء ـ وكالة يهودية ـ أو حركة صهيونية ، أو دولة اسرائيل ومن النظر اليها بالمنظـار الصحيح. وهذا الربط التاريخي للمقاومة العربية الفلسطينية يؤمن وضوحها بأنها صراع ضد كيان قام نتيجة اغتصاب على قطعة من أرضنـا ، وكونه قائماً على عقائدية طائفية عنصرية منغلقة مترمتة ، وكونه مرتبطاً ارتباطاً قوياً مع مجموعات بشرية تسعى لاستقطابها إلى دائرته وتدعـيم وجوده ونفوذه ومراميه التوسعية ، وكون اسرائيل تتحرك بفلسفة منطويـة على ذاتها مرتكزة على احتقار الغير ونبذ الغير ، وبالتالي غير مبالية بكل القيم والضغوط المعنوية ، وكون اسرائيل معتكفة عن المشاركة الانسانية على أي مستوى ،منهمكة منذ بدء اغتصابها الأراضي فلسطين

في بناء مواقع قوة عدوانها وترسيخ احتلالها وتمجيد ذاتها والاعداد لمرامي توسعها ، وانها منذ أن بدأت تتمركز في مدننا وقرانا نتيجة مساعدة الانتداب البريطاني ـ أي قبل التقتيل النازي الغاشم ـ على تسخير كل الامكانيات والجهود والضغوط والتهديدات لمآرب اغتصابها للأرض العربية وتنزيح أصحاب الحق عن أرضهم .

وهنا أجيز لنفسي أن نتنبه إلى التقرير بأن فلسطين لم تكن وليست هي وحدها هدف الاغتصاب التوسعي الاستعماري للحركة الصهيونية. وان هدف اسرائيل يتخطى مجرد العدوان الاحتلالي على أرض فلسطين وتنزيح الشعب الفلسطيني عن أرضه، لأن اسرائيل تهدف الى سحق تكامل الشخصية العربية وضرب احتمالات الوحدة السياسية للأمة العربية واضفاء واقعية مزيفة للتبعثر الكياني القائم في الوطن العربي وايجاد التشكيك بعروبة المصير. واسرائيل تدرك أن فلسطين لم تعد الاسم التاريخي لكيان جغرافي أو وجوداً شعبياً دائماً أو قطعة من الوطن العربي الكبير فقط، بل ان فلسطين أصبحت المحور الذي يرتكز عليه التداخل القومي بين الاقطار العربية . ان فلسطين ـ وجوداً

وقضية ـ هي التي تمكن واقع الوطن العربي من التحول نحو مراميه الوحدوية والثورية .

ومن هنا تبرز منطقية المطالبة بدولة فلسطين بل عدم كفايتها .. فدولة فلسطين المقترحة ليست هي دولة المجابهة مع اسرائيل فحسب بل هي أيضاً قضية المجابهة العربية لنفسها ، ومن هنا لا بد أن ندرك بأن فلسطين الدولة يجب أن تبقى فلسطين القضية . ولعل هنا يكمن عنصر الابداع المطلوب من العقل العربي ومن النضال الثوري في هذه المرحلة بالذات . وأكثر من هذا ، فانه إذا كانت فلسطين الدولة هي تحقيق جزئي ومرحلي لشروط ومقتضيات فلسطين القضية ، فان فلسطين القضية لا بد أن تعي أن الدولة الفلسطينية هي تعبير مادي يتجاوز مقاومة اسرائيل إلى بحث مصير الانسان العربي في العالم المتطور . ان الشعار أن « الفلسطينيين لفلسطين وبعدها ستكون فلسطين للفلسطينيين » لا تتوافر فيه شروط البعد القومي للنازحين الفلسطينيين ، كما ينقصه التعبير الأسلم لتداخل فلسطين القضية في صميم الوجود القومي العربي ككل . هذا لا يعني أن الشعار خاطىء بل يعني انه شعار ناقص من زاوية

المنطلق القومي الشامل لقضية فلسطين .

هذه الملاحظة أوردها لاستدراك أمرين :

أولاً : لأن خصائص الواقـــع الفلسطيني والنوعية الفريدة للاستعمار الصهيوني لا تجيز أي تمييع للارتبـاط العضوي والتفاعل الدائم مع الكيان القومي الذي تشكل فلسطين جزءاً حياً منه .

ثانياً : لأن ضرورة وجود الدولة الفلسطينية والبيئة القوية الفلسطينية على الخط المواجه لاسرائيل ، لا يمـكن أن يعني في أي حال من الاحوال انتفاء الحق العربي القومي الشامل في مواجهة العدوان الاسرائيلي من حيث اننا جميعاً فلسطين ـ فلسطينيون ـ في معركتنا المصيرية مع اغتصاب اسرائيل لقطعة من وطننا ، لأن فلسطين ليست وطناً بل قطعة من وطن ، ولأن قضية فلسطين هي قضية العرب في تحقيق ثورتهم الشاملة . ومن هنـــا يتراءى لي أن تحريك قضية فلسطين قومياً ودولياً تـكون أسلم لو جاءت دولة فلسطين قطراً من دولة عربية ، ولذلك فان دولة فلسطين لا بد أن تكون دولة المجابهة المباشرة مـع الاغتصاب

الاسرائيلي ، واداة احتواء خطرة . ولـكن عليها ان تكون محصلة دولة الوحدة ، اداة تحرير فلسطين من اسرائيل نفسها .

القسم الثالث

تعليق على المناقشات

تعليق على المناقشات

بقلم : أحمد بهاء الدين

أثار الاقتراح الذي طرحته على صفحات « المصور » منذ اسبوعين ، دائرة واسعة حية من المناقشات .

وهذا بالتحديد أحد الاهداف التي توخاها هذا المقال : ان نتناقش بصراحة وبصوت مرتفع ، في كثير من الاشياء التي تعوّد الرأي العام العربي ألا يناقشها منـــذ سنوات كثيرة .. منذ تسع عشرة سنة .

وما أصدق ما قاله لي دبلوماسي عربي كبير هـــذا الاسبوع حين قال : ان كثيراً من أمورنا السياسة اصبحت مثل « موضوع الجنس » : مقبول ان يتحدث فيه الناس همساً ، ولكن ليس مقبولاً ان يتحدث فيه أحد علانيـة وأمام الجميع .

وقد قلت دائماً : ان من اكبر نقط الضعف في الموقف العربي إزاء قضية فلسطين ، انه لا يوجـــد لدى العرب جميعاً ، رسميين وغير رسميين ، أي تصور كامل أو شبه

كامل للحل النهائي لقضية فلسطين ، وأن الجيوش العربية كلها لم تكن تعرف ماذا يمكن ان تصنع حتى بالنصر العسكري على اسرائيل ، لو قد كتب لها النصر ..

وهذا الوضع السلبي هو نتيجة انعدام المناقشة الإيجابية العميقة المتطورة للقضية ؛ وأقصد بالمناقشة شيئاً غير ترديد الشعارات والاهداف النهائية التي نعرفها جميعاً ، ويعرفها أي تلميذ في المدرسة الابتدائية . انما أقصد بالمناقشة ، البحث في خطوات إيجابية تحرك الركود ، وتنهي سلبية السياسة العربية التي كانت دائماً « رد فعل » لتحركات اسرائيل . وفي هذا المجال كانت المناقشة منعدمة . هل بسبب الاستسلام لخدر الشعارات اللذيذ وما يحويه من كسل عقلي ؟ .. هل بسبب ضعف المؤسسات الديمقراطية في بلادنا العربية جميعاً ؟ .. هل بسبب ان الحكام تعودوا الانفراد بالتفكير ؟ .. هل بسبب عجز العرب عن الاعتراف بالخطأ في الوقت المناسب وتعديل خططهم وأساليبهم ، والاعتراف بخطأ الأسلوب وتعديله غير العدول عن الهدف والتراجع عنه ، أم ان السبب هو ان المصالح التي تركبت وترتبت على الوضع الذي قام بغير

تفكير منا سنة ١٩٤٨ ، أصبحت اثبت واحرص على عدم الحركة من ان تقبل المناقشة ؟ .

أيان كان السبب ، فقد كانت النتيجة ان المناقشة بمعناها الصريح والحقيقي الحي قد انعدمت ، واننا اعتبرنا ترديد الشعارات نضالاً وان امتحان الشعارات على محك البحث من حين لآخر .. انحراف أو مراجعة ! ..

هكذا .. لم يكن القصد من تقديم الاقتراح الذي تقدمت به، ان اقدم « برشامة » شافية لكل أوجاع القضية الفلسطينية وحلاً حاسماً نهائياً لها ، فقد قلت دائماً ان القضايا المصيرية الكبرى ليس فيها حل سحرى واحد حاسم ، ولكن فيها خطوات وتصرفات ومبادرات تخلق بتعمقها وتراكمها وضعاً جديداً . انما أردت من تقديم الاقتراح ان يكون مجرد أساس للبحث والتعديل والتطوير والتفكير بذهنية وعلمية جديدة .

على أنني اسمح لنفسي بأن أقول ان ردود الفعل التي اعقبت المقال والمناقشات التي دارت ، جعلتني اكثر اقتناعاً به ..

فمعظم الاراء الجادة التي قرأتها وسمعتها لم تكن

« معارضة» أساساً للاقتراح .. ولكنها كانت إما تعديلات، أو اضافات ، أو تحفظات .. وهي كلها أشياء تساهم في صقل جوهر الاقتراح وجعله اكثر صلاحية للبحث والتأمل .. والتطبيق ..

وسوف أحاول هنا أن أعلق على النقاط التي أثيرت .. بما في ذلك من شرح للفكرة والقاء للضوء على بعض جوانبها ..

١ ـ أول تحفظ هو : علاقة انشاء « دولة فلسطينية » جديدة بقضية الوحدة العربية ..

وقد عبر بعض المتناقشين عن هذا التحفظ ـ والاعتراض أحياناً ـ بصور شتى :

الدكتور كلوفيس مقصود قال « ان شعار ان الفلسطينيين لفلسطين حتى تكون فلسطين للفلسطينيين لا تتوفر فيه شروط البعد القومي للنازحين الفلسطينيين وان الاقتراح يكون اسلم « لو جاءت دولة فلسطين قطراً من دولة عربية » .

عودة بطرس عودة قال « ان حل قضية فلسطين النهائي هو التحرير ، والتحرير يتم بتوفير القوة العربية

الذاتية ، والقوة العربية الذاتية لا تتحقق إلا بالوحــــدة العربية ، وقال ان التجزئة هي سبب الكارثة والوحدة هي طريق الحل .

صبحي ياسين قال ان فلسطين حتى الانتداب البريطاني لم تكن قط دولة ولا قطراً مستقلاً ، وانها لا بد ان تكون قطراً من دولة عربية .

والرد على هذه التحفظات والتخوفات بسيط ، بل وبديهي ..

فمن جهة الأمر الواقع حالياً ، هناك دولة قائمة بالفعل هي الاردن ، واشتات من الأرض هنا وهناك ، والاقتراح من هذه الناحية لا ينشيء دولة عربية أخرى فوق الدول الموجودة ، ولكنه يضم أشتات الارض الى الاردن ويحولها إلى فلسطين .

ومن جهة الاستراتيجية السياسية ، فان بديهية ان « التجزئة سبب الكارثة والوحدة هي الحل النهـــائي » بديهيـة صحيحة ؛ ولكن من أكبر الاخطاء الاستراتيجية الــتي يرتكبها العرب ـ وهم يرتكبونها كثيراً رفض الربط بين الحل النهائي الشامل وبين اتخاذ خطوات محددة

في مواقف محددة حتى ولو كانت على طريق الحل النهائي ، وهـذا يجعل العرب يطلبون دائماً : إما أن يتحقق الهدف النهائي الشامل فوراً ، وإما ألا نتحرك قط . وهذا يوقعنا دائماً في مازق الاستحالة والشلل .

الوحدة العربية هي الحـــل النهائي ، ولكننا نعرف جميعاً الصعوبات الهائلة والمعارك الطاحنة التي دارت حول هذه القضية . الوحدة هدف أساسي وحتمي ، ولكننـــا نعرف جميعاً أن أمامه خطوات طويـلة ومعقدة ، ولن يتم قبل تطورات،وتحولات كثيرة . فهل تقعد قضية فلسطين القرفصاء حتى يتم هذا والخصم لا يقعد ، والعالم لا ينتظر ، وكيـان الشعب الفلسطيني يتبعثر .. يبعثره عدم التحرك الايجابي ، وتمتصـه رمال الحياة اليومية ومتطلباتها ؟ ..

الجنوب العربي ـ مثلاً ـ جزء من كيان أكبر هو اليمن ، واليمن جزء من الوطن العربي . ولـكن إذا كان الواقع العملي يحتم أن يبدأ الأمر باقامة كيان دولةفيالجنوب تطرد الانجليز وتدعم قواعد الاستقلال في منطقة عربيـة هامة ، فهل يقول أحد بأن نؤجل هذا التطور ، لأن نشوء قطر عربي جديد مستقل في أرض محتلة مخـــالف لنظرية

الوحدة العربية .. هل نؤجله ببديهيات مثل القول بأن الوحدة هي الحل النهائي والقول بأن هذه الكيانات قد خلقها الاستعمار .. إلى آخره ؟ ..

ستكون فلسطين دولة عربية كسائر الدول العربية التي ما زالت غير موحدة رغم أن امكانيات التوحيد فيها أسهل .. وستدخل مع سائر الدول العربية في عملية التفاعل التاريخية الواسعة حتى تؤدي إلى الوحدة . وستتم الوحدة بين أقطار عربية، لا بجدول زمني جامد، ولكن تبعاً لملاءمة الاحداث ونمو النضال الوحدوي ونضج الظروف الموضوعية ، وفلسطين في هذا كله مثل غيرها من الدول العربية ..

وتستطيع دولة فلسطين الجديدة بارادة شعبها أن تدخل بعد ذلك في وحدة أو اتحاد أو تنسيق على أي مستوى مع أي قطر عربي ، تبعاً للظروف ، وعلى ضوء المصلحة .

على أن المؤكد والمطلوب فوراً ساعة تنفيذ هذا الاقتراح : أن تدخل فلسطين فوراً في تحالف عسكري واضح مع الدول العربية المجاورة على الأقل ، إن لم يكن مع

الدول العربية كلها، وان يرتب العون الاقتصادي والسياسي الضروري « لدولة المواجهة » مع سائر الدول العربية فوراً وكخطوة مبدئية وضرورية . وهذا يرد على الذين تخوفوا من أن يكون ايجـــاد دولة فلسطين عذراً لبعض الدول العربية أن تنفض يدها من القضية الفلسطينية أو تقلـل التزامها بها .

٢ ـ الاعتراض الثاني انفرد به الاستاذ وليد الخالدي وهو أن الوقت غير مناسب لطرح هذا الاقتراح وتطبيقه . لأنه يجب التركيز تركيزاً مطلقاً على ازالة آثار عدوان ٥ يونيو ، وان كان زمـلاء آخرون قد « تخوفوا » نفس تخوف الاستاذ وليد : ان يؤدي فتح باب الاقتراح إلى اثارة جراح الماضي،وإلى الخلاف حول نظام الحكم، والانصراف عن الهدف الاول المباشر وهو ازالة آثار العدوان .

وهذا تخوف طبيعي ومعقول ، وقد شارك فيه ناس كثيرون من الاستاذ الكبير وليد الخالدي الى « صلاح الدين محمود سائق تاكسي القاهرة رقم ٤١١١ » .

ولكنني استاذن في تاكيد أن هذا الوقت مناسب تماماً ، بـل من أنسب الاوقات ، لطرح هذا الاقتراح لأسباب

كثيرة ..

اني اؤكد على ضرورة نسيان الماضي ، على الأقل في الحدود اللازمة لانجاز هذه الخطوة. وكلمة «نسيان الماضي» أو « وضعه على الرف » ليست هنا كلمة انسانية او أخلاقية ولكنها تعبير سياسي ، نابع من الموقف المازق الذي تواجهه الامة العربية ، ومن ضرورة الخروج خطوة واحدة من عنق الزجاجة الراهن . ان وضع هذا الماضي – من شتى الجهات – على الرف هو تضحية من التضحيات. هو ضرورة من الضرورات ، لتحقيق هدف أكبر ألف مرة ، أو هو هدف محدد متواضع : وضع القدم على بداية طريق جديد صحيح ، الامساك بنقطة انطلاق جديدة .

وأعيد هنا ما قلته من « ان الوطن قبل نظام الحكم ، وأنّ الناس يختلفون في نظام الحكم وشروطه ولكن الناس لا يختلفون في الوطن . لا أحد يشترط لكي يعيش في وطنه ويعمل ويناضل فيه ان يكون نظام الحكم فيه على هواه ، أولاً وقبل ان يدخل هذا الوطن . وشعور الفلسطيني بالعودة والعمل والنضال ومواجهة القضية لا يجب ان يكون أقل من شعور اليهودي الذي يهاجر من آخر

اطراف المعمورة إلى وطن لم يره ولم يعرفه وحتى لا يتكلم لغته . والشعور الفلسطيني بالتأكيد ليس أقل » .

نظام الحكم ، ما هو ؟ .. هو محصلة عمل ونضال وتفاعل المواطنين مع شتى الظروف . ولكنهم يجب ان يكونوا أولاً مواطنين .

والتفكير منذ الآن في وضع يتلو « ازالة آثار العدوان » ليس وضعاً للعربة قبل الحصان . فقد كان من اكبر اخطاء العمل العربي كما قلت في أول هذا الحديث انه كان مقطوعاً عن اهداف محددة متوالية . إما الهدف الشامل النهائي وإما لا شيء . والتفكير المرحلي مهم . ولكن بشرط ألا يفصل بينه وبين الهدف النهائي ظلام كامل .

إنني اعتقد ان هذا التفكير حتمي ومفروض علينا . لأنني اعتقد ان تصور رجوع الأمور إلى ما كانت عليه تماماً مستحيل، واننا لا يجب ان نترك زمام المبادرة للغير . وهو فشل آخر يلحقنا . والتجمد عند نفس الخطوط القديمة في انتظار أحداث خارجية جديد ، نكسة أخرى .

ان المناضلين الفلسطينيين الذين يقدمون أرواحهم اليوم في أعمال المقاومة داخل الاراضي المحتلة ، هذه

المقاومة التي هي احدى بوارق الأمل وخيوط المنـار ، سيكون عملهم أجدى وأقوى لو تم في اطار الوصول إلى عتبة موقف جديد يتخطى واقـــع النكسة وما قبلها مباشرة . ونضالهم في هذا الاطار ولهذا الهدف ـ وهـذا هـام جداً ـ يعطيهم حقاً اكبر في تحديـد إطار دولة فلسطين وصوتاً اعمق واقوى في مستقبلها القريب .

٣ ـ الاعتراض الثالث يقول : ان هناك شبها بـين هذا الاقتراح وبين ما تقترحـه اسرائيل نفسها من اقامة كيان فلسطيني في الضفة الغربية له درجة من الاستقلال الذاتي ومرتبط بدولة اسرائيل .

والواقع انه إذا كانت هناك علاقة بين الاقتراحـين فهي علاقة التضاد والتناقض الحـاد . هي علاقة الشيء بعكسه . اسرائيل ترى انه بات لا مفر من إيجاد كيان فلسطيني ، فهي تبادر وتحاول ان تسحب هذا الكيان في اتجاهها ، يكون مرتبطاً بها ، خاضعاً لها ، عازلاً ـ لحسابها ـ بينها وبين سائر الوطن العربي . أما هذا الاقتراح فهو يعكس الصورة : انه يقيم الكيان ويضم الشتات رابطاً اياه بالوطن العربي ، ويجعله معاكساً لاسرائيـل وجبهة

ازاءها ، وقاعدة مطالبة بمعركة .

هكذا يجب الا نقف عند العناوين ولا نقعد القرفصاء ازاء مبادرات الآخرين ، انما يجب ان نتحرك ونأخذ مواقع جديدة ، وننتزع نحن زمام المبادرات في اللحظات المناسبة ، ونتعمق ما تحت العنـــاوين فيما هو أهم وهو « المحتوى ». لا نقف عند شكل الاناء بل نهتم بالعمل والجهد الذي يجب ان نملأ بها هذا الاناء .

نفس الشيء يقـال عن قول الاستاذ عودة بطرس عودة في هذا العدد من المصور ان هذا الاقتراح « رجوع إلى فكرة التقسيم » التي رفضها العرب سنة ١٩٤٨ .

والرد البديهي هو : ان الفرق الأساسي هو ان « قبول التقسيم » معناه وضع نهاية للقضية والاعتراف بهذا التقسيم كوضع مؤيد. أما هذا الاقتراح فمعناه اننا نحسن التصرف فيمابقى لدينا استعداداً لتحديات أخرى وخطوات أخرى .

أما فيما يتعلق باقامة دولة فلسطـين دون اعتراف بالتقسيم شرعياً ونهائياً، فانني أشارك الاستاذ غسان كنفاني ما قاله في العدد الماضي من المصور: « في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حين أعلنت اسرائيل في منتصف الليل تشكيل حكومتها

الأولى ، لم يكن يخطر على بال عربي انه لو أعلن العرب في تلك الليلة حكومة فلسطينية لتغير الكثير مما حدث في العشرين سنة اللاحقة » . نعم لو قامت دولة فلسطين تلك الليلة ، في الأرض التي لديها ودون اعتراف بما أخذ منها ، ولو كانت تلك نقطة الانطلاق في العمل والنضال منذ تلك الليلة لتغير الكثير ، ولتغير إلى الأحسن ، ولكن إذا كانت هذه الفرصة قد فاتت منذ عشرين سنة فلا يجب ان نفوتها إلى الأبد . أليس من الواجب أن نتعلم ؟ ..

السؤال هو : ما قيمة هذه الفكرة اليوم ؟ وهل مردوداتها الإيجابية تفوق محاذيرها أو تقل عن هذه المحاذير ؟

٤ ـ النقطة الأخرى الهامة هي : أليس في توطين اللاجئين انهاء لقضية فلسطين ؟ ألا يجب بقاؤهم هكذا في المخيمات كرمز لتمسكنا بحقهم في العودة ؟

هنا أقرر انني لم أطرح صيغة محددة ولكنني دعوت إلى مناقشة الأمر من جديد .. وليس عندي الا أن أكرر ما قلته .. وأن أضيف ملاحظة أخرى هامة .

قلت في المقال الماضي :

« لا أحد يريد ان يصفي مشكلة هولاء اللاجئين بالشكل الذي يؤدي إلى اسقاط حقهم في العودة أو الغاء وضعهم في موضع المطالب بذلك .. ولكن السؤال هو : هل تبقي هذه الكتلة الكبيرة من الشعب الفلسطيني .. وبعد عشرين سنة في المخيات ، زمناً آخر في نفس المخيات ، زمناً لا أحد يعرف بالضبط متى ينتهي وهل سيقصر أو يطول ؟

« اعتقد ان هذا مستحيل . وانه غير منصف لهم ، وانه غير مفيد .

« واعترف هنا انني لا أملك اجابة محددة إزاء هذه القضية ، في اطار هذا الاقتراح الشامل الذي أتحدث فيه عن « أحياء دولة فلسطين » ، ولكنني استطيع أن احدد هدفاً اطرحه للمناقشة . وهو هدف مزدوج : أن تتحول هذه الكتلة السكانية حيثما كانت إلى أرض فلسطين التي بين أيدينا ، وان تتحول في أرض فلسطين إلى مجتمع قوى يتعلم ويتصنع ويستزرع ويتسلح ليكون « بيئة قوية » على الخط المواجه لاسرائيل .. لا ليبقى هكذا في اسار العجز والامية وعدم القدرة، وألا يتم شيء ينهي حقهم في المطالبة

بالعودة أو يكون فيه مساس باصل قضيتهم » .

هذا ما قلته .. وقلت ان ما يقابله هو : تحويـــل اسرائيل للمهاجرين إلى مواطنين ملنصقين بالارض كلما حصلت على شبر من الارض .

الملاحظة الهامة التي أحب ان اضيفها تعزيزاً لما سبق ، وهي ملاحظة صديق فلسطيني، هي: ان الاغلبية الساحقة ممن هاجروا مرة أخرى أمام عدوان ٥ يونيو إلى الضفـة الشرقية للاردن ، ليسوا سكان الضفة الغربية المقيمـين العاملين المرتبطين بالارض والبيت والعمل . ولكنهم اللاجئون سكان المخيمات .

وهذا بديهي ، فاللاجىء الذي ليست له روابط محددة بالأرض ، تستوي لديه أي أرض . أما المواطن المرتبط بآلاف الروابط بمكانه، فهو لا يتركها إلا في القليل النادر .

٥ ـ يرد بعد ذلك سؤال هام طرح كثيراً في المناقشة هو : لمن توجه هذا الاقتراح ؟ وما هي الجهة التي يمكن أن تتبناه ؟ دولة الاردن ؟ أو شعب فلسطين ؟ أو مؤتمر قمة عربي ؟ ..

والرد بسيط : ان مهمتنا نحـن الكتّـاب هي طرح

الافكار وعرضها على بساط البحث والمناقشة والتحليل ..
وخلق نوع من الرأي العام حولها .. والغة هـــذا الرأي
العام بها ..

بعد ذلك تصبح الفكرة ملكا للجميع .. بحذافيرها أو
بتعديلها أو بأخذ جوانب منها . فهذا حظ كل الآراء
والافكار والمقترحات التي يدلي بها الكتّاب ويتناقشون
حولها : تترك أثراً ـ أو لا تترك ـ في النسيج الفكرى للرأى
العام ، وللقادة المسئولين ، ورجال العمل والتنفيذ ...

على انني ، من الناحية التنفيذية ، اعتقد أن الدعوة
يمكن ان تصدر عن مؤتمر القمة العربي ... وتصدر من
السلطة المرشحة للحكم باتفاق مع نفس المصدر اجراءات
محددة : كتحديد موعد لدعوة مجلس تأسيسي من شعب
الدولة الجديدة بعد فترة محددة من إزالة آثار عدوان ٥
يونيو ، وقانون يمنح كل فلسطيني حيثما كان حق الحصول
فوراً على الجنسية الفلسطينية . ولا يقيد هذا الحق بفترة
معينة ، انما يكون ذلك من حق أي فلسطيني ولو بعد
عشرين سنة ، وسواء عاد الفلسطيني أو بقي رعية فلسطينية
ومقيما في بلد آخر ... وان تعقد معاهدة دفاعية عسكرية

بين الدولة الجديدة والدول العربية كافة ، أو الدول المحيطة بها على الأقل ...

والباب واسع أمام الكثير من هذه الافكار وامام اختيار الصالح منها ..

تبقى بعد ذلك ملاحظة أخيرة .

فهناك في بعض التعليقات نغمة دفاع عن الفلسطيني الذي هاجر وحمل جنسية عربية أخرى . وهذا دفاع غير وارد . لأنه لا يوجد اتهام قط . ان الفلسطيني إذا لم يجد وطنه الاصلي فوطنه هو العالم العربي ، والذين هاجروا وعملوا وحملوا جنسيات أخرى ليسوا متهمين . فالتهمة موجهة للظروف التي لم يكن أمامهم إزاءها سوى ان يفعلوا ما فعلوه . ونجاح هؤلاء الفلسطينيين هو مفخرة للعرب وللفلسطينيين بالذات ؛ والواقع ان هؤلاء كان لهم دور رئيسي في حفظ الكيان الفلسطيني المبعثر حياً نابضاً نشيطاً مؤثراً في الحياة العربية بوجه عام .

وهم بهذا يشكلون رصيداً ضخماً للمستقبل الفلسطيني خاصة ولمستقبل العرب بوجه عام ..

وبعد ، فانني لم أعلق على كل رأي بالتفصيل ، فليس هذا هدف المناقشة . وما زال مجـــال المناقشة والبحث مستمراً .

القسم الرابع

مناقشات أخرى

١ ــ قطر واحد

بقلم : انيس صايغ

أود أن أتجنّب ، متعمداً ، الجواب عن التساؤلات الأساسية في مقال الاستاذ بهاء الدين ، وألا أتحدث عن مقترحاته الرئيسية بانشاء «دولة فلسطين في الاردن وغزة» واسكان النازحين الفلسطينيين المشتتين في الديار العربية المختلفة في أرض فلسطين نفسها ، لا لعدم أهمية المقترحات بل ، على العكس ، لانها من الأهمية بحيث أفضل أن اترك الرأي للمسئولين المختصين بموضوع كهذا في المنظمة التي انتمي اليها ــ منظمة التحرير الفلسطينية ــ خاصة وانها هي المعنية بالأمر ، وهي المؤسسة المفروض أن تعالج مشاريع كهذه ، قبل واكثر من أية مؤسسة أخرى ، ما دامت هي المنظمة التي اختارها شعب فلسطين لأن تمثله وتنطق باسمه .

وساكتفي بتحديد بعض النقاط الهامشية التي قد تلقى ضوءاً على المقترحات وقد تفيد في المناقشات اللاحقة بين الاستاذ بهاء ومناقشيه .

١ ـ المشروع الموضوع تحت البحث اعتراف بحد ذاته، بخطأ كبير يتحاشى واضع المشروع الاشارة اليه بصراحة. وبينما عاب الاستاذ بهاء على العرب « تفكيك ما تبقى في أيدينا من فلسطين» ـ أي تقسيم الرقعة التي ظلت للعرب، من فلسطين ، إلى منطقتين رئيسيتين عرفتا باسم قطاع غزة والضفة الغربية ، إلى جانب رقعة صغيرة جداً نسبياً هي (الحمة) ـ لم يدلل تدليلاً واضحاً على الخطأ الاكبر وهو محو اسم فلسطين ، نظرياً وعملياً ، محواً تاماً عن تلك الرقعة التي ضمتها الحكومة الاردنية إلى شرق الاردن ، وتحويلها إلى مجرد « ضفة غربية » في كيان لا يحمل اسم فلسطين ولا يشجع على اعتبار الفلسطينيين فلسطينيين . فلو بقى القطاع الفلسطيني الذي ضم إلى الاردن سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ كارض فلسطينية ، وظل له اعتباره كارض فلسطينية ، ونظر اليه كنواة لدولة فلسطينية تتولى مجابهة العدوا لو تم ذلك لما كانت مشكلة

تفكيك القسم الباقي من فلسطين مشكلة كبيرة ، وعلى العكس ، لو تم ذلك (أي لو أعلنت داخلية فلسطين نواة كيان فلسطين منذ ١٩٤٨) لكان قطاع غزة بطبيعة حاله يعلن نفسه جزءاً من هذا الكيان الفلسطيني ، بالرغم من الحاجز الاسرائيلي بين القطاع وداخلية فلسطين .

٢ ـ دعوة المشروع العتيد لجعل شرق الاردن جزءاً من هذه الدولة المقترحة ليست اعتباطية ، ويجب ألا ينظر اليها كحل سياسي خاضع لظروف مؤقتة . فإن شرق الاردن كان ، منذ أقدم العصور جزءاً لا يتجزأ من كيان فلسطين ، وحتى إذا كنا نحن العرب ننسى ذلك، ونتناساه أحياناً ، فان الصهيونيين لم ينسوا ذلك ، بل هم دائماً يدرجون شرق الاردن بشكل خاص ضمن مخططاتهم التوسعية، لا كأرض عربية بل كأرض فلسطينية صرفة . وحتى الآن يوجد حزب قوي في اسرائيل « حزب حيروت » يضع شرق الاردن على خريطة ـ اسرائيل ـ في شعاره الرسمي ولا يعترف بفصلها عن فلسطين ، ومعظم الصهيونيين يأخذون على ونستون وتشرشل انه ضر بهم وخدم العرب في ١٩٢١ حين سلخ شرق الاردن عن

فلسطين وجعلها امارة شبه مستقلة ومنفصلة تماماً عن فلسطين .

٣ ـ صحيح أن الوطن أهم من نظام الحكم ، وصحيح ان الناس يختلفون في نظام الحكم ولا يختلفون في الوطن ، انما الناس يشترطون مسبقاً أن يكون الحكم يعمل لمصلحة الوطن ولحماية الوطن كحد أدنى على أقل تقدير . أما حينما يعتقد شعب ما أن نظام الحكم لا يحمي الوطن أو لا يريد أن يحمي الوطن أو لا يريد حرية الوطن ، عند ذاك فانهم لا يستطيعون أن يقبلوا بهذا النظام بحجة أن مصلحة الوطن تقتضي ذلك . نظام الحكم ثانوي نسبياً فقط ، حينما يسلم بأبسط القواعد ـ أي بأن واجبه ان يحمي الوطن ويعمل من أجل حريته ورفاهيته ، وحينما هاجر اليهود ويهاجرون إلى فلسطين المحتلة مهما اختلفوا مع سلطات الاحتلال ، مقتنعين أن هذه السلطات تقودهم نحو تحقيق أهدافهم الصهيونية ـ وعلى رأسها سلب فلسطين والتوسع في الوطن العربي ـ .

وحينما يطلب من الفلسطيني ان يعود إلى دولة فلسطين يجب أن يكون مقتنعاً بأن حكومته الفلسطينية

ستقوده إلى تحقيق هدفـه القومي الأول ، وهو تحرير الأرض السليبة . فقط حينما تحصل عنده هـــذه القناعة يستطيع أن يتجاهل أي اختلاف في وجهات النظر مـع السلطات الحاكمة في بلده .

٢ ــ دولة الوحدة

بقلم : عودة بطرس عودة

من الضروري جداً ان نتطلع من الآن مع الاستاذ أحمد بهاء الدين إلى مرحلة ما بعد ازالة آثار العدوان بعقلية جديدة واسلوب متغير ، ولكن هذا التطلع يجب ان يكون أولاً وقبل كل شيء :

ــ في ضوء ما تعنيه القضية الفلسطينية كقضية مصير ووجود، ليس بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني وانما بالنسبة للأمة العربية والثورة العربية .

ــ وفي ضوء ما يمثله الوجود الاسرائيلي من عدوان امبريالي صهيوني يستهدف الثورة العربية والوجود العربي قبل وبعد ان يستهدف وجود الشعب الفلسطيني . وعلى هذا الاساس فان التطلع إلى مرحلة ما بعد ازالة آثار العدوان يجب ان يستهدف الوصول إلى اجابة محددة عن

سؤال محدد هو :

كيف يمكن ان تستفيد الأمة العربية من مرحلة قبل العدوان الاخير لإزالة قاعدة العدوان واسبابه الرئيسية ؟ هذا هو السؤال الذي يجب ان يكون أساس كل الاجتهادات لمواجهة مرحلة ما بعد إزالة آثار العدوان .

الاجابة عن هذا السؤال تفرض علينا سؤالاً آخر هو : هل الدولة الفلسطينية هي السبيل إلى ذلك ، أم ان السبيل إلى ذلك هو دولة الوحدة ؟

ان الاجابة عن ذلك تقتضي منا ان نفرق الآن بين الدولة الفلسطينية وبين اهمية « وجود الشعب الفلسطيني مع توفير الامكانيات له ليصبح « شعب التحرير » . وبعد هذه الملاحظة المبدئية فان الاجابة تتقرر في ضوء معرفتنا لأسباب النكسة الأخيرة ومن قبلها النكبة التي وقعت في عام ١٩٤٨ .

ان هذه الاسباب ، مع الوعي العميق لدور القوى الامبريالية والاستعمارية في مساندة الصهيونية العالمية ، تتمثل في التجزئة التي كانت قائمة في عام ١٩٤٨ والتي ما زالت قائمة في عام ١٩٦٧ .

وهذه التجزئة القائمة ، رغم وجود الثورة العربية ، هي السبب الرئيسي الذي يجعـــل الامة العربية أضعف بكثير من قوتها الحقيقية ، وأعجز بكثير عن ان تستعمل امكانياتها الهائلة وموقعها الاستراتيجي فيما لو كانت هـذه الأمة دولة واحدة بارادة واحدة ، وليس مجموعة من الدول بارادات مختلفة ومتناقضة في معظم الاحيان .

بعد هذه الحقيقة نأتي إلى موضوع الدولة الفلسطينية. هل مثل هذه الدولة هي السبيل إلى القوة العربية ، وهـل مثل هذه الدولة هي السبيل إلى حـــل قضية الشعب الفلسطيني ؟

هنا لا بد من التأكيد على ان قضية الشعب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين . وانه من اكبر الاخطار الفصل بين الشعب وقضيته . أي انه لا يجوز اعتبار قضية الشعب قضية انسانية في حين ان القضيـة الفلسطينية في حقيقتها وابعادها قضية سياسية مصيرية تحريرية .

معنى هذا .. ان حل قضية اللاجئين الفلسطينيـين بتوطينهم،ولو على أرض الدولة الفلسطينيةالمقترحة،خطر كبير لا يجوز الوقوع فيه،رغم كل المعاني الانسانيـــة التي

يمكن ان تتمثل في مثل هذا الحل .

ويجب هنا أن نتذكر جيـــداً أن القوى الامبريالية والصهيونية، لم تتوقف منذ عام ١٩٤٨ عن تدبير المؤامرات لارغام الشعب الفلسطيني على قبول الاستيطان والتوطين. والواضح جيداً ، ان هذه القوى المعادية لم تكن تهدف الى تخليص « الفلسطينيين »من عذاب التشرد وحياة الخيمة.. وانما هي تهدف ، ومـــا زالت تهدف ، الى تصفية القضية الفلسطينية من خلال تصفية الشعب الفلسطيني .

هنا ، قـــد يقال : ان الدولة الفلسطينية المقترحة تحمي وجود الشعب الفلسطيني ، ولكن هذا « الوجود » مع التوطين المقترح يؤدي إلى عدة مخاطر ، يجب أخذهـا بعين الاعتبار ، عند أي بحث لفكرة الدولة الفلسطينية .

أول هذه المخاطر : ان « التوطين » يؤدي بالفلسطيني مع الزمن الى اليأس القاتل ، ويصرفه عن النضال من أجل العودة إلى الديار المغتصبة ، الى النضال الذاتي من أجـــل تحقيق مكاسب ذاتية في ظل الواقع الجديد . والأخطر من ذلك ان هـذا التوطين يقضي على المظهر الحي في القضية الفلسطينية وهو « قضية اللاجئين » ، كما يلغي القرارات

التي سبق أن اتخذتهـــا الأمم المتحدة ، والتي تقضي بحق اللاجئين في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم ، والتي تعتبر سلاحاً كبيراً في يد أجهزة الاعلام والدعاية العربية .

وثاني هذه المخاطر : ان الدولة الفلسطينية ، سوف تكون ولا شك عضواً في الأمم المتحدة ، ورغم كل ما يمكن أن يقال ، فان هذا الواقع الجديد ، مع حل قضية اللاجئين بالتوطين ، يؤدي الى تخفيف التناقض الحاد القائم في المنطقة ، وهذا يؤدي بالتالي إلى تعميق جذور الأمر الواقع الاسرائيلي. ثم ان إنهاء قضية اللاجئين، بهذا الشكل يجعل الرأي العام العالمي ، في المستقبل ، على غير استعداد لأن يتقبل وجهة النظر العربية بالنسبة للقضية الفلسطينية من خلال أنها قضية شعب طرد من دياره ويناضل من أجل تحريرها .

وثالث هذه المخاطر : ان الدولة الفلسطينية تؤدي إلى نتائج عكسية خطيرة . ففي حين ان هذه القضية ، في كونها قضية مصير ووجود بالنسبة للأمة العربية ، تحتاج الى مزيد من العوامل التي تجعلها « أكثر قومية » من الآن، وبحيث تصبح اكثر من ذي قبل القضية الأولى والكبرى

للأمة العربية ، والحكومات العربية ، فان هذه الدولة اذا ما قامت تؤدي إلى « أقلمة » القضية .

ورابع هذه المخاطر : أن واقع القضية الفلسطينية ، في ظل وجود الدولة الفلسطينية سوف يؤدي بالتدريج من خلال « أقلمة القضية » الى « تنزيل » موقف بعض الدول العربية من هذه القضية المصيرية .. فبدل أن تكون قضية كل دولة عربية تصبح قضية الدولة الفلسطينية . ويتبع ذلك تغير جوهري في موقف هذا البعض من الدول ، إذ يصبح هذا الموقف قائماً على أساس التأييد للدولة الفلسطينية ، على غرار ما كانت تفعله تجاه ثورة الجزائر . ثم مع هذا التغير الجوهري ، سوف يكون هناك تغير آخر كبير الخطورة ، وهو ان أي تأييد من الدول العربية للدولة الفلسطينية ، يعطي أمام الرأي العام العالمي مبرراً للتأييد الذي تحصل عليه اسرائيل من الدول الامبريالية الاستعمارية .

وخامس هذه المخاطر : ان الدولة الفلسطينية تعني، رغم كل ما يمكن أن يقال لدحض هذا الذي تعنيه ، العودة الى الأخذ بمبدأ التقسيم ، الذي اقترحته بريطانيا في عام

١٩٣٧ ، وأقرته الأمم المتحدة بضغط امريكا في عام ١٩٤٧ والذي رفضه وما زال يرفضه الشعب الفلسطيني والأمة العربية .

بعد هذه الملاحظات ، نأتي الى السؤال الأساسي وهو: هل الدولة الفلسطينية هي السبيل الى القوة العربية ؟

ان مثل هذه الدولة المقترحة ، مع ملاحظة بسيطة ، بالنسبة الى ما كان عليه قطاع غزة ، كانت قائمة ، ولعلها ما زالت قائمة باسم آخر ، غير الدولة الفلسطينية . وكل ما هو مقترح الآن هو تغيير الاسم مع ضم قطاع غزة . فهل هذا« التغيير » في الاسم هو الدليل على« التغيير » في العقلية العربية ؟ وهل هو السبيل إلى بناء القوة العربية الذاتية ؟.

ليس هذا هو السبيل في رأيي . ان السبيل ليس تغيير الاسم. لأن تغيير الاسم يعني تكريس التجزئة سبب النكبة والنكسة . وأي تكريس للتجزئة لا يعني أكثر من أن العقلية العربية لم تستفد شيئاً من النكسة القاسية ، ولا من النكسة المريرة التي سبقتها .

وعلى هذا فان الدولة الفلسطينية ، لا يمكن أن تكون سبيل الحل المنشود للقضية الفلسطينية ، ولا يمكن أن

تكون هي الرد الثوري على النكسة وأسبابها . ان الحـل المنشود للقضية الفلسطينية هو التحرير ، وسبيل التحرير هو القوة العربية الذاتيـة ، والسبيل الى هذه القوة ، هو دولة الوحدة التي تمثل إرادة الثورة العربية وأهدافهـــا القومية .

٣ ــ رجوع دولة الوحدة

بقلم امين الأعور

اذا لم يتح للنقاش حول مقالة الاستاذ بهاء ، فرصة الخروج من القوالب الجامدة التي عاش أسلوب تفكير المثقفين العرب ، حول قضية فلسطين ، ضمن جدرانها عشرين سنة ، فلن تصبح المقالة فكرة واضحة الحدود . ولن تصبح الفكرة مشروعاً معقولاً يولد عند الناس قناعة النضال في سبيل تحقيقه ..

الذي فهمته من المقالة المكتوبة بعمق المفكرة الدبلوماسية ونعومتها ، أنها محاولة لاكتشاف أسلوب جديد للعمل العربي تجاه القضية الفلسطينية ، يمكنه اختراق الظروف الدولية التي تطوق القضية بأسوار من فولاذ ..

هذه المحاولة ، أذا كتب لها مقدار كاف من المعالجة الجدية ، قد تفتح علينا باب الانتقال الجماعي من أسلوب

تفكير ما قبل الحرب ، بعـــد ثبوت تخلفه بالتجربة، الى أسلوب جديد : عصري ، منطقي ، معقول ، وناضج : ان لم نكتشفه مختارين ، فلا بـد أن تقودنا إليه حرارة الموقف من أنوفنا ..

باستطاعة أي انسان أن ينهي النقاش ، مـع نفسه ، أو مع غيره ، حول مقالة بهاء ، بسطرين :

سطر يسأل : هل في يدنا الآن، اعلان دولة فلسطين؟:

وسطر يجيب : طبعـاً . لا . إذن لماذا الحوار حول أمر لا نملك فيه كلمة الفصل إلا على ورق « المصور » ؟ ..

وباستطاعـــة أي انسان آخر ، أن يناقش المسألة في مجلدين :

مجلد يكرسه لكشف حسنات النظـــام الملـكي ، أو سلبياته ، بالنسبة للدولة العتيدة ..

ومجـــلد آخر عن سلبيات النظام الجمهوري ، أو حسناته ..

وربما مجلد ثالث عن أفضليات النظام الذي يراه مناسباً لدولة فلسطين ..

كما أنـــه ، باستطاعة أي انسان ، ثالث ، ورابع ،

وخامس ، أن يدخل على المناقشة من زوايا أخرى متعددة.

هذا النوع من الجدل، إن لازمتنا « الشطارة » الزائدة على اللزوم ، فدخله كل منـا بناء على أفـكاره المسبقة ، أو التزاهه المعين ، وما يتطلبه من التلويح للناس بكلام كبير وبراق، هدفه أن يسحب الفرزدق البساط من تحت جرير ، أو العكس،ويجعلنا أمام مقالة بهاء ، في نفس وضع امريء القيس أمـام منزل عشيقته : يدخل من الشباك الغربي ، ويغادره من الشباك الشرقي ، وتبقى أبوابـــه موصدة ، وأهله نياماً ، لا يستفيق منهم إلا من كان هدف المناسبة وقصدها ..

سقت هذه المقدمة الحادة ، عن قصد ، وعن إصرار ، علها تساهم بلفت النظر الى ضرورة دخول نقاش المقالة من أبوابها ، فلم يعد يصح، بعد حرب الأيام الستة السوداء، أن نتناول قضية فلسطين عن أي طريق إلا عـن طريق الموضوعية ..

ان دوله فلسطين المقترحة ، يمكن ان تكون حلقـه متقدمه من سلسلة مرحلة ما بعد الحرب ..

فكيف يمكن ان نحرر ارضهـا من عدوان الاحتلال

الذي ترزح تحته الآن ؟..

وكيف يمكن اذا حررنا الأرض ، وأنشأنا الدولة ، ان نجعلها مصونة من احتلال جديد ؟..

وكيف يمكن ان نجعلها تمارس دورها فتحرر الجزء المغتصب من فلسطين دون أن تتعرض لمضاعفات الموقف الدولي ، وتخضع لضغوطه ؟..

عندما نرد على هذه الأسئلة ، يمكن أن نجعل لمقالة بهاء، المصاغة بعمق المفكرة الدبلوماسية ونعومتها ، ملحقاً ايضاحياً يحاول ان يضع للفكرة حدوداً معينة . ويبقى بعد ذلك من اختصاص منظمة التحرير ، اذا أرادت ، أن تبلور الفكرة في مشروع ، وتسعى الى إقراره عربياً . بحيث يصبح المشروع هدفاً نضالياً تولد له استراتيجية عمل بعيدة المدى ، وتكتيكات يومية ، تقود محاولات الوصول الى الهدف ..

في رأيي، ان الموقف العربي،اذا استمر رهن الظروف العربية الذاتية الحاضرة ، سيوصلنا الى تجزئة شعار محو آثار العدوان . بحيث أنه اذا انسد آخر منفذ أمام الحل السياسي في الأمم المتحدة ، يصبح البلد القادر عسكرياً ،

مرشحاً وحده لإزالة آثار العدوان عن ارضه . أما البلد الذي لا يملك هذه القدرة فلا بد له من الانتظار ..

كيف ، ولماذا ؟ :

لأن ظروف ما قبل الحرب، لم تعد موجودة، وأشكال التعاون العربي لم تعد على مستوى الموقف المستجد ، ولا بد من أشكال جديدة اكثر فعالية ، وإلا فان تجزئة محو آثار العدوان لن تكون مفاجأة لأي إنسان بعيد النظر ..

ان مصر باستطاعتها ، على أساس إمكانياتها المادية والبشرية ، أن تجهز جيشها بقوة تكفي لتحرير سيناء وقطاع غزة . لكنها ، كما اعتقد ، لا تستطيع ، ضمن الموقف العالمي الحالي المجمع على الاعتراف باسرائيل ، ان تخترق الشاطىء الفلسطيني ، كي تصل الى محو آثار العدوان في الشمال ، ولو ملكت القوة اللازمة لذلك ..

فهل نبدأ ، اذا تم تحرير سيناء ، والقطاع ، باعلان دولة فلسطين ، على أن تضم شرق الاردن ، وغزة ، ثم تضم الاجزاء الباقية ، فيما بعد ؛ أم نبحث عن أسلوب آخر يمكننا من إزالة آثار العدوان دفعة واحدة ؟ ..

أظن أننا لو بحثنا عن ألف شكل لمحو العدوان مرة

واحدة ، خارج الحل السياسي ، فان أي شكل لن تكون فيه الفاعلية الكافية ، اذا كان دون مستوى الوحدة الشاملة بين سوريا ومصر ..

فهذا الشكل وحده ، في رأيي ، هو القادر ، بمفرده ، أن ينقل « دولة فلسطين » من فكرة في « المصور » الى واقع على الطبيعة ..

أما أشكال المواثيق القديمة ، فقد فشلت بين أيدينا مرتين : مرة حين لم تتمكن سوريا من تنفيذ المعاهدة العسكرية مع مصر عام ١٩٥٦ ، خوفاً عليها من الأذى ، خلال حرب السويس. ومرة حين فشلت المعاهدة الجديدة بين البلدين في حرب الأيام الستة السوداء. وبعد التجربتين، لست أظن أن تجربة ثالثة مثلهما يمكن أن تنجح ، أو يحق لأحد أن يقتنع بجدواها. وأي تطوير للتجربتين لن يكون على مستوى إزالة آثار العدوان اذا كان أقل من وحدة شاملة..

هذه هي قناعتي ، فيما يتعلق بالامكانية العربية الذاتية لتحرير ارض « دولة فلسطين » المقترحة . وجعلها شيئاً ممكن التنفيذ ..

أمـا كيف يمكن أن ننشيء دولة فلسطين ، فالذي

أتصوره حاسماً للتجاذب حول نظام الحكم ، هو انه اذا كانت ملكيةفلا بد من أن يكونملك الاردن ملكاً عليها. واذا كانت جمهورية فلا بد أن يكون الملك رئيساً للجمهورية مدى الحياة . ومن بعده تصبح الرئاسة لمن يختاره الشعب بالانتخاب ..

ونظام الحكم ، على أية حال ، هو أقل الأمور تعقيداً في كل ما يتعلق بدولة فلسطين ..

على أن أخطر ما سيواجه الدولة المنتظرة هو صيانتها من الاجتياح الاسرائيلي . فاذا نجح الحل السياسي في الأمم المتحدة باكراً ، وتم الجلاء عن الاراضي المحتلة كلها ، وأعلنت دولة فلسطين ، وبقي الوضع العربي على ما هو عليه ، فان خطر الاجتياح لن يكون مرفوعاً إلا عن قطاع غزة لسبب بسيط هو أن الامكانيات المصرية القادرة نظرياً على ردع اسرائيل ، قد اتخذت لها بعد الحرب التدابير الداخلية التي تكفل جعل الشيء النظري إمكانية عملية على الطبيعة ..

ويختلف الأمر بالنسبة لباقي أجزاء الدولة العتيدة ، إلا اذا قامت وحدة شاملة ، يصبح معها ردع اسرائيل

ممكناً من الجنوب والشمال معاً ..

بقيت مسألة توفير الطاقة المادية لدولة فلسطين كي تكون قادرة على الحركة باتجاه الشاطىء ، لا تفرض عليها اسرائيل الجمود ، ولا تفرض عليها التراجع باتجاه الصحراء .

ان دولة عربية واحدة ، ولو كانت مؤلفة من مصر وسوريا ، لا يمكنها أن توفر لدولة فلسطين قدرة مجابهة اسرائيل المدعومة بالف دعامة خارجية ، اذا لم يكن لها أنياب بترولية قوية . وهذا يحتم انضمام العراق ، وربما غيرها ، الى دولة الوحدة . بحيث تصبح هذه الدولة خلال فترة قصيرة نسبياً قادرة على قلب الموقف الاستراتيجي في المنطقة لجميع الفرقاء . فيتيسر بذلك لدولة فلسطين الحماية الكافية، والمال الكافي ، والقدرة اللازمة، لارغام اسرائيل على اتخاذ موقف الدفاع المحض لا يمكنها الخروج عنه.

على كل هذا ، يمكن القول إن مقالة بهاء ، تصح مناقشتها بالآراء الملموسة ، وبالهدوء والموضوعية اللازمين . لأننا بغير ذلك سنشغل قراء « المصور » دون طائل ..

قد يقال اني أجذب الموضوع نحو تضخيمه، الى درجة تجعـــل التنفيذ يستلزم سنوات عدة ، ونحن بحاجة الى السرعة . .

هذا القول ، لا يمكنني الاقتناع به ، لأني أعتقد انـه اذا استمرت الظروف الدولية الحاليـــة ، فقد تستمر المعركة بيننـا وبين اسرائيل عشرين سنة جديدة ، وقد نضطر بعد عشر سنوات ، الى البدء بتنفيذ مـا يمكننا ان نبدأ به اليوم . .

ان عملية تحرير فلسطين ، لا يمكن أن تتم باعجوبة إلا اذا حدثت زلزلة دوليـة ، أو حرب محدودة بين الكتلتين العالميتين في هذه المنطقة . .

وبدون أي تردد ، يمكن القول ان الزلزلة الدوليـة ، ليست من مصلحة العرب ، ولا الحرب المحدودة في هـذه المنطقة بين الكتلتين في صالحنا . لأننا مهما كانت النتائج ، سنجد كل ما بنيناه ، خلال ربع قرن مضى ، قد تهدم . كما سنجد بعد حرب مفترضة من هذا العيار ، اننا بحاجة الى سنوات طويلة كي نتمكن من القضاء على الفقر المدقع الذي ستجرنا الحرب اليه . .

نحن بحاجة الى شيء واحد ، مفرد ، كي ننتصر. وهذا الشيء هو وضع القدرة العربية الذاتية موضع العمل . أما أن نظل متشبثين بالأوضاع السائدة ، ثم ندعي القدرة على التحرير ببعض العمليات المحدودة ، فهذا ما سيفرض علينا التخلف فرضاً ..

اننا في مواجهة اسرائيل ، مدعومة بامريكا ، قد خرجنا من هذه الحرب ، وأمامنا ، في قناعتي ، سؤالان مصيريان هما :

هل يمكن بناء الاشتراكية في بلد عربي واحد ، ضمن الأوضاع الراهنة ؟..

وهل يمكن صيانة التقدم في بلدان عربية ضمن هذه الاوضاع ؟

أرجو ألا أفجع أحداً اذا عبرت عن رأيي بالقول : ان بناء الاشتراكية لا يمكنه ان يسير بوتائر عصرية ضمن الضغوط الهائلة التي يمكن ان توجه إليه ، حتى ولو كان هذا البناء يجري في بلد عربي واحد له سعة مصر ، وعدد سكانها ، وقدراتها على الصمود والحركة ..

كما أن صيانة التقدم في بلدان عربية متعددة ، غير متيسرة وسط الضغوط الهائلة ، خاصة بعد ما بات في امكانية اسرائيل ، مدعومة بأمريكا ، أن تتحرك بألف شكل في سبيل تصفية التقدم الى الشمال منها ، والتفرغ التام المواجهة الدائمة مع مصر وترتيب العمل ضدها ، بعد أن باتت هذه المواجهة ضرورة حياتية لاسرائيل ، إثر التطورات المصرية الداخلية الأخيرة التي يبدو أن جهات كثيرة خارج بلاد العرب ، تمكنت من فهم ماذا تعنيه بالنسبة للمستقبل ، اكثر من بعض الجهات العربية المعينة .

وبعد ، فان الحالة الوحيدة التي نستطيع معها أن نزيل آثار العدوان دفعة واحدة . وأن نخترق الظروف المحيطة بنا إلى ظروف أكثر ملاءمة لنا ، هي حالة اعلان الوحدة بين بلدين عربيين ..

فاذا تم ذلك ، أمكننا خلق « دولة فلسطين » ..

وأمكننا بناء الاشتراكية بسرعة عصرية ..

وأمكننا دخول مرحلة تحرير الوطن المغتصب ..

وأمكننا البدء باحلال الأمة العربية في مكانها اللائق بين الأمم ..

وبغير هذا الانتقال ، من حالة الى حالة ، لست آرى أمامنا ، خاصة شمال فلسطين ، إلا بروقاً ورعوداً ، وليالي حبالى بالخطوب ، قادمة في الطريق ..

٤ ـــ مطلوب تغيير الواقع القديم

بقلم : الياس سحاب

حتى تكون مناقشة مشروع الدولة الفلسطينية الذي طرحه الزميل الكبير الاستاذ أحمد بهـــاء الدين ، مناقشة عملية ومفيدة ، يخيل إلي انها يجب أن تتناول ناحيتين من المشروع : الفكرة بحد ذاتها ، ثم امـكانيات تحويل هذه الفكرة إلى واقع جغرافي وسياسي حي ، أي أن المطلوب مناقشة المشروع ، كفكرة ، ثم مناقشته كتنفيذ .

وأحس قبل الدخول في التفاصيل برغبة في التأكيد على أن المشروع ، كفـكرة ، يرد على جميع تمزقات الواقع الذي عاشه الشعب العربي الفلسطيني في مرحلتين محددتين مميزتين : مرحلة ما قبل المنظمة، ومرحلة ما بعد المنظمة، أي المرحلة التي عاش فيها الشعب العربي الفلسطيني ردود الفعل على النكبة ، ثم المرحلة التي حاول أن ينتقل فيهامن

ردود الفعل إلى الفعل .

ففي أعقاب نكبة عام ١٩٤٨ ، تطورت الأحداث في خط فرض على القضية الفلسطينية شكلاً غريباً ، إذ أصبحت قضية بلا أرض وبلا شعب .

أما الأرض ، فقد وقع منها ما وقع تحت نير الاحتلال الصهيوني ، وانضمت الضفة الغربية من الاردن الى ضفته الشرقية لتشكلا معاً المملكة الاردنية الهاشمية ، وبقيت غزة قطاعاً منعزلاً محصوراً بين صحراء سيناء والارض المحتلة .

وأما الشعب فقد حمل جزء كبير منه الجنسية الاردنية ، ونوزع الباقي على شكل تجمعات كبيرة وصغيرة في سوريا ولبنان والعراق والكويت وبعض بلدان أمريكا الجنوبية والشمالية .

ولا بد ، ونحن نقول هذا الكلام بهذا الوضوح ، ألا نعاني من خوف الوقوع في الشعور الاقليمي الفلسطيني ، فمهما قيل إن الاردن الذي انضمت إليه الضفة الغربية ، هو بلد عربي ، وان البلد الذي تسلم إدارة قطاع غزة هو بلد عربي ، وان الفلسطينيين في لبنان وسوريا إنما هم

عرب ينزلون في بلاد عربية .. فان هذه الأشكال العاطفية للأمر لا تغير شيئاً من الواقع السياسي الذي نتكلم عنه ، والذي يقول بلا لبس أو إبهام ، وبلغة العلم ، ان قضية فلسطين أصبحت ، بسبب الواقع الذي عرضنا ، قضية بلا أرض ، وبلا شعب ، بعد أن فقد هذا الشعب وحدته الاجتماعية ـ السياسية ـ الجغرافية ، وبعد أن انهارت جميع مؤسساته الاجتماعية التي تنصبّ فيها مجهودات الشعوب عادة ، وتتجسد بواسطتها .

هذا الواقع لم يكتف بتمزيق « الوحدة السياسية ـ الجغرافية » لشعب فلسطين ، بل انه جرّ معه ، في كل بلد عربي مضيف للفلسطينيين ، ظروفاً فعلت فعلها في تكثيف الرواسب في نفس الفرد الفلسطيني . ولا أقصر ملاحظتي هذه على الظروف السياسية الخاصة لكل بلد ، بل أتعداها الى الظروف المعيشية اليومية القاسية التي عاش وما زال الفرد الفلسطيني يعيش في ظلها : مشكلة العمل ، ومشكلة السفر والتنقل حتى بين البلاد العربية ، ومشكلة الوضع الصحي والثقافي للتجمعات الفلسطينية التي تعيش في المخيمات ... ولا بد هنا ـ ونحن بصدد تحليل

موضوعي – أن نتجاوز كل مرارة لنثبت حقيقة آن الأوان لقولها دون خوف ، وهي أن الفلسطيني ، بصورة عامة ، كان وما زال يعيش وضعاً قلقاً غير طبيعي حتى في البلاد العربية ، فلا هو بالمواطن الذي يتمتع بحقوق المواطن الكاملة في الدولة العربية التي يعيش فيها ، ولا هو بالأجنبي الذي له وضع قانوني محدد ، والذي له دولة تحميه وترعى شؤونه أينما حل ..

فلسطينيو الاردن وحدهم كانوا يتمتعون بالحقوق المواطنية الكاملة حيث يعيشون لدرجة الوصول الى منصب رئاسة الوزارة، غير أنهم فقدوا مقابل ذلك هويتهم الفلسطينية ...

وهذه مسالة أشدد عليها ، ليس في اطارها العربي ، – حيت نشكل جميعنا في نهاية المطاف أمة واحدة – ولكن في اطارها الدولي حيث أدى سقوط الهوية الفلسطينية عن شعب فلسطين الى أن تتخذ القضية الفلسطينية في نظر الأعداء والأصدقاء ، شكل صراع الحدود القائم بين اسرائيل وما يحيط بها من دول عربية ... حتى أن فيدل كاسترو – وهو الثائر العظيم – قال في حديث أدلى

بـه منذ أسابيع لمجلة « نوفيل أوبسرفاتور » الفرنسية اليسارية انه لا يعتبر العرب ثوريين، لأن الثوري الحقيقي لا يمكن أن يهدد دولة بالزوال .

من المسؤول عن هـذه النظرة الخاطئة للقضية الفلسطينية؟ في رأيي أن المسؤول ليس الدعاية وتقصيرها، كما نحاول أن نصور لأنفسنا أحياناً ونحن نبسط الأمور ، بل المسؤول هو سقوط الهوية الفلسطينية عن الشعب العربي الفلسطيني وبالتالي عن القضية الفلسطينية .

انطلاقاً من جميع هذه الملاحظات ، أقول أن مشروع الاستاذ بهاء الدين ـ لو أخذ طريقه نحو التنفيذ ـ فانـه سيضع حـداً نهائياً للتمزق والقلق النفسي العميق الذي يفتت الفرد الفلسطيني والشعب الفلسطيني من جهـة ، ويعيد للقضية الفلسطينية شعبها وأرضها ، بعد أن يتخذ هذا الشعب شكل الوحدة السياسية ، وتتخذ هذه الارض حيزاً جغرافياً محدداً .

واذا كان البعض مـا زال يفسر هذا الكلام ـ رغم وضوحه ـ على انه دعوة اقليمية فلسطينية ، فان الحديث عن الواقع الفلسطيني في المرحلة الثانية ـ مرحلة مـا

بعد المنظمة ـ قد يجلو كل لبس وغموض في هذا الصدد .

عندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية ، قلنا إنها تجسيد للكيان الفلسطيني ، وانها الارض السياسية التي ستعوضنا عن الارض الجغرافية ، وقلنا إن شعب فلسطين الذي عاش منذ عام ١٩٤٨ بلا عنوان محدد ، قد أصبح له عنوان يمكن مراجعته بكلما يتعلق بالقضية، وهو منظمة التحرير .

وعشنا تجربة المنظمة بكل اندفاع منذ منتصف عام ١٩٦٤ حتى اليوم ، فماذا حصل ؟

بغض النظر عن الظروف الداخلية للمنظمة ، فاني أعتقد أن الظروف الخارجية القاسية كانت وستظلّ اكبر من أية قيادة تتولى تسيير المنظمة ... ذلك أن المطلوب عمليا من المنظمة أن تقوم بعملية تحرير ، وهي لا تملك أرضاً تنطلق منها ، وبشعب لا تملك من أمره شيئاً . وساعطي بهذا الصدد مثلاً عملياً صغيراً من واقع التجربة التي عاشتها المنظمة ... فقد حاولت أن تنفذ مشروع جباية ضريبة التحرير من الشعب العربي الفلسطيني ، غير أنها لم تتمكن من ذلك ، لأنها لا تملك سلطة تنفيذية على

التجمعات الفلسطينية المبعثرة هنـا وهناك ... وهكذا نرى أنه من باب التخريف أن نطلب من قيادة سياسية لا تستطيع جباية ضريبة من شعبها ، أن تحرر بواسطة هذا الشعب بلداً تضافرت على فرض الظلم والاغتصاب عليـه أعتى القوى الامبريالية المعاصرة ... هذا مع العـلم ان مشكلة جمـع الضريبة هي اصغر المشاكل وأقلها شأناً ... وذلـك حتى لا نغوص في مشاكل التنظيم الشعبي وغيره وغيره ...

ان قيادة المنظمة التي يفترض فيهـا ان تكون قيادة الشعب العربي الفلسطيني في طريق النضال للعودة ، لا تملك ان تفرض على مواطن فلسطيني واحد أن يفعل كذا أو كذا من الاعمال ، فبأية أداة ستحرر المنظمة فلسطين ؟

شيء آخر خطير كشفت عنه تجربة المظمة منذ عام ١٩٦٤ حتى اليوم.فقد ثبت أنافتقار المنظمة الى الارض ، أي الى الكيان السياسي الجغرافي ، قد جعلها وعاء بلا قاع بحيث ان أي مجهود يصب في هذا الوعاء يذهب هدراً بدل أن يتجمع وينضم الى سائر المجهودات الاخرى ، لتشكيل انجازات سياسية معينة ..

وساعطي المثل الواقعي فوراً حتى لا اقع في التعميم.. لنفرض أن بورمـــا قد منحت كامل تأييدها للمنظمة وأرادت ترجمة هذا التأييد بارسال سلاح او خبراء أو أي شيء آخر ، فاين تستطيع المنظمة ان تجمع هذا السلاح ، وأين تستطيع ان تستقبل هؤلاء الخبراء ، وبماذا تشغلهم ؟

ماذا يعني كل هذا ؟ يعني ان الكيان السياسي لا يمكن ان يكون بديلاً للكيان الجغرافي ... وان اي جهد سيظل يذهب هدراً إذا لم تتح له أرض خصبة يزرع فيها ليثمر ، وقاعدة صلبة يمكن لمجموعـــة الجهود المبذولة أن تتحول عليها ـ وبالتدريـج ـ الى بناء نضالي ، مهما طـال الزمن بعملية بنـائه ، فان النتيجة النهائية مضمونة وواضحة ومحددة .

وهكذا نرى بكل وضوح ان الدولة الفلسطينية التي يدعو الاستاذ بهاء الدين الى انشائها ترد على جميع مشاكل ورواسب المرحلتين اللتين عاشهما الشعب العربي الفلسطيني بلا هوية سياسية قبل المنظمة وبهوية سياسية لا أرض لها ، وبالتالي لا حول لها ولا قوة ، بعد المنظمة .

يبقى علينا البحث عن أساليب تنفيذ المشروع ...

ومن باب التذكير ــ وليس من باب التعجيز ــ أود هنا تسجيل ملاحظات سريعة :

١ ان علينا أن نذكر المصاعب الهائلة التي اعترضت مشروع إحياء الكيان الفلسطيني ــ ولو كواجهة سياسية فقط ــ عندما طرح داخل أروقة الجامعة العربية، والعناء الذي سبق تنفيذه . وعلينا أن نستعد ــ ونحن بصدد فكرة تحويل الكيان السياسي الى كيان جغرافي ــ لمواجهة عقبات أشد تعقيداً ، وحواجز أكثر صلابة .

٢ ــ علينا أن نذكر أن اثنين من الأجزاء الثلاثة التي ستشكل منها الدولة المقترحة « غزة ، الضفة الغربية ، الضفة الشرقية » يقعان حالياً تحت احتلال ، ربما كان أسهل للالغاء من الاحتلال الذي تم عام ١٩٤٨ ، ولكنه احتلال على أي حال . من هنا علينا أن ندرك ــ ونحن بصدد الشروع في التنفيذ ــ ارتباط المشروع بقضية إزالة آثار العدوان، حتى نحسن توقيت الأمور وربطها ببعض.

٣ ــ لا يجوز إغفال بحث القاعدة الاقتصادية التي لن تقوم الدولة المقترحة بغيرها ، ذلك ان عملية انتزاع التجمعات الفلسطينية من الأراضي التي ترسخت فيها منذ

عشرين عاماً ، لإعادة زرعها في رقعة صغيرة من الارض ، محدودة الامكانيات الاقتصادية ، لا يمكن أن تتم بنجاح من غير قاعدة اقتصادية صلبة تفرض نفسها بشكل حاسم على كل التجمعات الفلسطينية المبعثرة، لتستقطبها ثم تستوعبها ثم تجندها .

أما السهوله والصعوبة التي يمكن التغلب بها على كل هذه العقبات فامرها يتعلق في رأيي – وكما أشار الأخ شفيق الحوت في الاسبوع الماضي – بمستوى الجهة التي ستتولى تنفيذ المشروع ، ونرجو أن تكون هذه الجهة هي أعلى المراجع العربية المسؤولة ، لأننا نرجو أن يتحقق المشروع .

فقبل الحديث عن ايجاد « هانوي » عربية تمد الثورة الفلسطينية بالدعم ، علينا ايجاد « سايجون » العربية التي ستتلقى هذا الدعم .

٥ ــ اقتراح وجيــــه

بقلم نادرة جميل السراج

اقتراح الاستاذ أحمد بهاء الدين بانشاء دولة فلسطين اقتراح وجيه له مبرراته وأسبابه، تلك الأسباب والمبررات التي يعانيها كل فرد من أبناء وبنات الشعب الفلسطيني، أينما حل، تحت كل كوكب، لعل أبرزها وأبينها شعور شامل بالغربة، غربــــة روحية عميقة أصبحت ألصق للفلسطيني من ظله، وكيف لا يشعر بغربة من ليست له أرض ينتمي إليها، ولا بلاد تحميه شخصيتها وكيانهـا، ولا جنسية محترمة بين الدول تمهد له سبيل السفر والتنقل إنـ أراد، والإقامة المعزة المكرمة إن اختـــار مكاناً للاقامة ؟.

ولا شك في أنـ هناك أمثلة كثيرة ممـــا يقاسيه الفلسطينيون في هـذا السبيل، في بعض البلدان الغربية

أحياناً ، وفي معظم البلدان العربية على وجه الخصوص . . ولست أنسى أبداً ذلك الموظف المسؤول في مدينة «ميونخ» بألمانيا الغربية ، عندما رفض منحي إقامة أسبوع في تلك المدينـــة لزيارة شقيقي الذي كان يدرس هناك ، وتحت إلحاحنا وإصرارنا أمسك بوثيقة السفر التي أحملها وقلب صفحاتها بشيء من الاشمئزاز ـ ولا أستبعد أن يكون صهيونياً ـ وعندما قرأ مكان الميلاد « مدينة يافا » أصر من جديد على عدم اعترافي بجنسيتي الفلسطينية ، ولم يرض بمنحي الإقامة القصيرة إلا حينما كتب الى جانب اسمي « من يافا ـ اسرائيل » !.

أسوق هذا مثلاً فقط ، وهناك أمثلة عديدة يقابلهـــا المسافرون الى الخارج والمقيمون بسبب العِلم أو غيره ، وكلها ممـــا يحز في النفوس ويجرح الأحاسيس ويستفز الكرامة .

وأعود الى اقتراح الاستاذ بهاء ، فاجد أنه عندما يبدأ بالأخذ به والعمل على تحقيقه ، لا بد من نقاط هامة تؤيده وتقوي من فعاليته :

أولها ، وطبعاً هذا لا بد أن يسبق بازالة اثار العدوان

الأخير ، ستصبح الدولة الجديدة وعــاء يستوعب أبناء فلسطين المشتتين في شتى بقاع الارض، ويستفيد من نشاطهم وانتاجهم وجهودهم، خاصة انهم جميعاً قضوا هذه السنوات الفائتة إما في علم مفيد أو في عمل واختبار أكسبهم الكثير من التجارب والقدرات التي ستنمو بدولتهم الوليــدة - فيما لو تحققت - فتحيلها الى مجتمع موحد نام بناء، بدل هــذا التفرق والضياع ، الذي يبعثر الجهود ويعرقل العمل المثمر .

النقطـة الثانية : ان دولة فلسطين الوليدة لا بد وأن ترتبط ارتباطاً كاملاً بالدول المجاورة خاصــة ، والدول العربية عامة . وليس غائباً عن البال انها ستعتمد بدرجـة كبيرة على الامدادات العسكرية والاقتصادية من الدول العربية الأخرى . والأمل كبير في أن هــذه الدول لن تبخل عليها بكل ما يلزم لتتمكن من الصمود والمجابهــة والسير قدمــاً نحو تحقيق دولة الوحدة في أقرب فرصة ممكنة، خاصة انها لن تسلم من اعتداءات اسرائيل ومقاومتها لوجودها ، وعلى الأخص لأنها تعلم أن الدولة الفلسطينيـة الجديدة ستكون منطلقاً جديداً للمقاومة الشعبية ومركز

امداد دائم لها ، تلك المقاومة التي لن تهدأ ولن تكل حتى يتحقق تحرير البقية الباقية من فلسطين ، وتعود كلها عربية حرة أبية ، وتشكل الحلقة الوسطى والمهمة في حلقات دولة الوحدة العربية من الخليج إلى المحيط .

أخيراً،وأنا أشارك في مناقشة هذا الموضوع الفلسطيني الهام ، أجدني متسائلة في شيء من الحيرة : هل نحن شعب عاطفي حالم يكثر من التمني ويتحدث عما ليس باليد — أعني في الوقت الحاضر وفلسطين كلها ترزح تحت نير الصهيونية الكئيب — وأجدني أجيب عن تساؤلي — ولِمَ لا ؟ فكثير من الحقائق كانت في السابق أحلاماً وأمنيات ، وما دام نبراس الأمل يضيء طريقنا ويجمع بين قلوبنا ، فلنسر قدماً نحو تحقيق الاهداف ، ولنهتف مع شاعر فلسطين المعروف الاستاذ عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى» الذي لقب نفسه « بالمشرد » :

يا أخي ! ... ما ضاع منا وطن
خالد نحمله في كل قلب

٦ ــ فكرة غامضة

بقلم برهان دجاني

ان فكرة الدولة الفلسطينية التي طرحها الاستاذ أحمد بهاء الدين فكرة غير واضحة ، لا من حيث مضمونها، ولا من حيث الفائدة العاجلة او الآجلة المتوخاة منها . وهذا الغموض صفة لا بد ان تلازم الفكرة في الظرف الراهن مهما حاول أي مفكر أن يعطيها صورة محددة المعالم . ذلك لأن كل فكرة سياسية تخضع للظرف الذي تولد فيه من ناحية ، ولا تتخذ شكلها النهائي بالشكل المتوقع من التسلسل المنطقي الداخلي للفكرة في شكلها التجريبي ، بل الشكل الذي تقرره طبيعة القوى المتفاعلة مع الفكرة شداً وجذباً . ومن هنا فان فصل أي فكرة سياسية عن البيئة التي ستعيش فيها اذا ما وضعت موضع التطبيق ، والاكتفاء بمحاكمتها على أساس تجريدي بحت ،

سيؤدي بغير شك الى الوصول الى استنتاجات مغلوطة .

مثلاً ، هل الفكرة تمثل في شكلها المطروح حالياً جانباً من صيغة ما يسمى « بالحل السلمي لأزمة الشرق الاوسط » ، تلك الصيغة التي اعطيت الأسبقية في مؤتمر القمة بالخرطوم ؟ هل هي إذن استطراد وتكملة لمنطق قمة الخرطوم ، أو صيغة نضالية من اجل استرداد فلسطين ؟ وطالما أن الاستاذ احمد بهاء الدين أوجد رباطاً عضوياً بين الفكرة والقمة العربية ، فان هذا السؤال يصبح جوهرياً ، وبالتالي فان شكل « الدولة المقترحة » يصبح معتمداً على ما سيقرر في مؤتمرات القمة القادمة ، بالنسبة لأسلوب المواجهة مع العدو .

وبناء على ذلك ، فالذي نراه انه مهما يكن من سلامة الفكرة في حد ذاتها ، فان طرحها ، في هذا الوقت وقبل أن تتضح أمور كثيرة، غير مناسب. وهذا لا ينفي إطلاقاً انها قد تصبح ضرورية بل وملحة ايضاً في ظرف مختلف .

فبالنسبة الى هذه الفترة من المواجهة العربية مع قوى الصهيونية العالمية والاستعمار ، علينا ان نلاحظ ما يأتي :

أولاً : إن فكرة الدولة الفلسطينية ستخلق بلبلة فكرية بين الفلسطينيين العرب الذين يعيشون الآن تحت الاحتلال الاسرائيلي .

فبالنسبة لعرب الضفة الغربية ما زالت قوى المقاومة تنادي بأن الضفة الغربية جزء من الدولة الاردنية ، وتطالب بالعودة إلى الارتباط العضوي بالدولة الاردنية .

فاذا علمنا أن الجانب الاكبر من القوى الوطنية التي تنادي بالعودة إلى الكيان الاردني يتكون من فئات كان الحكم الاردني ينظر اليها بعين الريبة والجفاء ـ أمكننا أن نتصور أن هناك أسباباً قوية من المصلحة الوطنية تفرض هذا الموقف ، وبخاصة أن الجانب الاسرائيلي هو الذي ينادي بفكرة « الكيان الفلسطيني ضمن اسرائيل » التي يمكن أن تتطور في ظروف معينة ، وبفعل الشد والجذب الدوليين ، إلى فكرة الدولة الفلسطينية .

ثانياً : هل تستطيع فكرة الدولة الفلسطينية أن تجر معها « شرق الاردن » في الظرف الراهن ؟ ألا تحمل في طياتها الخطر من احياء فكرة « دولة شرق الاردن » ؟

ثالثاً : على أن المحذور الأهم في نظري بالنسبة لهذه

الفكرة ، في الظرف الراهن، هو انها تثير بلبلة فكرية بين العرب كلهم ، وعلى اختلاف ديارهم . فكل تسمية تحمل معنى قيمياً ويشبه أثرها على الفكر أثر مصباح اليد على سائر في ظلام ــ إذ يشد سبره إلى حيث ينير المصباح ، دون أن يتيح له رؤية ما هو أبعد من ذلك . فالواقع انه قد آن لنا أن نجمع الاحداث التي اختبرتها أمتنا خلال نصف قرن من الزمن ، في تسمية تتضمن المعنى القيمي لها كلها . فلقد كنا نتحدث حتى عام ١٩٤٨ عن «القضية الفلسطينية»، وبقيت هذه التسمية إلى يومنا هذا . غير أن المعنى القيمي الذي ارتبطت به في أذهان العرب ، ساسة ومفكرين ، هو انها «قضية شعب شقيق» وانها « قضية صعبة ومن أصعب قضايا العالم » . ثم أخذنا في عام ١٩٥٦ نتحدث عن حرب السويس ، وها نحن الآن في عام ١٩٦٧ نتحدث عن « أزمة الشرق الاوسط». والاقتراح الذي يطرحه الاستاذ بهاءالدين عودة إلى تسمية ما قبل عام ١٩٤٨ .

غير أن حرب تقسيم فلسطين لعام ١٩٤٨ ، وحرب السويس لعام ١٩٥٦ ، وحرب اسرائيل ضد الدول العربية عام ١٩٦٧ ــ هذه كلها تعبيرات عن ظاهرة واحدة تشكل

نقطة التجمع الدينامية ، ونقطـة التخطيط الدينامية ، وقوة الضرب الديناميـة ، وهي ظاهرة الغزو الصهيوني للاراضي العربية ، ضمن مخطط يتجاوز فلسطين بكثير ، ويتضمن أراضي مصر وشرقي الاردن وسوريا ولبنان والعراق والحجاز ، ولا شك انه إذا نجح في ذلك فسيرنو إلى ما هو اكثر وأبعد من ذلك .

فاذا كان الغزو الصهيوني لا يستهدف فلسطين وحدها ، واذا كان هدفه احتلال الارض وإجلاء السكان والحلول مكانهم ، وليس فقط تغيير الحكومات المعادية له ، فان تسمية تعيد إبراز الدور الفلسطيني في المقاومة لا تتناسب في الواقع ، لا مع أهداف العدو من جهة ، ولا مع مقدار الجهد الكلي المستميت المثابر المطلوب من الأمة العربية كلهـا من جهة أخرى .

انني أقرر واقعاً عندمـا أقول بأن مصطلح قضية فلسطين ـ ومصطلح « دولة فلسطين » هو امتداد له ـ كان بالنسبة إلى الدول العربية مصدر تخدير واسترخـاء اكثر منه مصدر شحذ .. وإذا ما استطاع العدو الآن أن يصل إلى السويس ، وأن يرتقي إلى القنيطرة وبانياس ،

وأن يتحرك على كامل الضفة الغربية لنهر الاردن ، و إذا أصبح الآن خطراً تلمسه بغداد ، وتحس به الكويت ، ولا تستطيع مكة والرياض أن تتجاهلا وجوده ، فأحرى بنا أن نعمق هذه الرؤية بدلاً من أن نسدل عليها ستاراً اسمه « دولة فلسطين » . وقد يكون أداة غشاوة اكثر منه أداة تبصر .

رابعاً : بالنسبة للعمل الفلسطيني بالذات هناك تجربتان سميت إحداهما « حكومة عموم فلسطين » وسميت الثانية « منظمة التحرير الفلسطينية » . وقد انبثقت كلتاهما عن أجهزة العمل العربي الجماعي . وربما كان من الضروري أن نقرر هنا أن لكل مـــا ينبع عن العمل الجماعي العربي سطحاً محدداً لا بد أن يبلغه ويتوقف عنه . طبعاً قد يقول المتفائل « ولكننا قادرون على تناول الأمور بعد الوصول إلى ذلك السطح ، بغير حاجة إلى القمة » وهذا يعيدنا الى قوى الشد والجذب .

ولا بد لي هنا ، من أجل الحقيقة ، أن أقول بأن أي عمل فلسطيني قد يلقى تشجيعاً من الدول العربية ضمن ظروف محددة ، وغير مضمونة .وهذه الظروف، وللحق،

غير مرتبطة فقط بنوعية الأنظمة السائدة ، بل ومرتبطة بكامل صرح الكيانات والعلاقـات الخارجية والعربية ، والأوضاع الداخلية . ولذلك فان تخيل وضع تكون دول العرب فيه كلها مؤيدة لعمل فلسطيني فيه تفاؤل نرجو أن يتحقق .

ولكن هل عرب فلسطين في نضالهم ومقاومتهم بحاجة الى دولة فلسطين التي طرح فكرتهـا الاستاذ أحمـــد بهاء الدين ؟

أرجو أولاً أن يعذرني البعض ، اذا قلت بأنـه اذا كانت القضية في جوهرهـــا قضية غزو صهيوني لأراض عربية واسعة تتجاوز فلسطين ، وإذا كان الدفاع دفاعـاً عن هذه الاراضي كلها ، فلقد قام عرب فلسطين بواجبهم بشكل مشرف، رغم عدم تكافؤ القوى ، الذي أصبح الآن مفهوماً اكثر من ذي قبل ، ورغم ظروفهم « العربية » التي ألحت الى جانب منهـا فيما تقدم . عام ١٩٤٨ صمدوا بدون عون تقريباً ، حتى انهارت مقاومتهم . عام ١٩٥٦ وقفوا وقفة بطولة رائعة في رفح . وعام ١٩٦٧ حاربوا باستماتة في خان يونس ــ التي تبادلتها الأيدي ثلاث مرات ــ جنباً إلى

جنب مع الجيش المصري في حربه البطولية في سينا
وأشدد على كلمة البطولية عارفاً معناها وحقيقتها. وحا
وحدهم في الضفة الغربية ، وما زالوا يحاربون وهم الآ
صميم المعركة . ولقد حصلت هذه المقاومة كلها بغير د
وبغير شعار دولة .

وإلى جانب حربهم على أرض فلسطين ، فلقد نا
من أجل الوحدة العربية ، أي من أجـــل الدولة العر
الواحدة ، وما زالوا يناضلون .

ولئن كان عرب فلسطين يباركون كل حلف ع
ضد اسرائيل – ثنائي أو جماعي – فلقـــد مرت عل
أحلاف كثيرة لم يجد أي منها نفعاً كثيراً . ولن يزيد
قوة الدولة الفلسطينية المقترحة ، ارتباطها بحلف جما
عربي .

ان شعار دولة فلسطين قد يرفـع – شعار مرحلة
من خلال النضال الفلسطيني . ولكن النضال ذاته يجب
يسير شوطاً ويتعرف الى معالم طريقه وأساليب كفاح
قبل أن يرفع شعار دولة فلسطين : النضال أولاً . لقد
النضال بغير شعار دولة فلسطين ، وهو قادر على ان يس

الآن زمناً بغير هذا الشعار .

ان نضـــال الشعب الفلسطيني يسير وراء أهداف واضحة : فداء الأمة العربية وتبصيرهـا بحقيقة العدو والجهاد اللازم للقضاء عليه ، وبناء الوحدة العربية مجسدة في دولة عربيـــة واحدة ، وتحرير أرض فلسطين من الغاصبين .

هل قيام « دولة فلسطين » يزيد من تصميم دولة سوريا على حماية أرض سوريا ، ومن وعى حكومـــة العراق بأن الغزو الصهيوني أصبح قادراً على أن يصل ، وثبـة واحدة ، الى بغداد ؟ هـل يُفهم دول النفط العربية ان الدولـة التي استباحت نفط مصر في سيناء ، متعطشة الى النفط الغزير على الخليج ؟ هل يبصر السعودية بأن اسرائيل، اذا ما تصورت أن الساحل الشرقي للبحر الأحمر مكشوف ، فلن تتوانى عن ضربه ؟ هل يقنع مصر بأن عدواً يحارب بعقلية « قاتل أو مقتول » يجب ان يُقتـل متى لاحت فرصة ، وإلا انتهز أول فرصة ليَـقتل ؟ هل يوضح لكل الواهمين من العرب ـ مفكرين وساسة ـ أن دول الاستعمار الغربي ، تبارك الغزو والتوسع الصهيونيين

سواء ضد الدول العربية المحسوبة في جانبها ، أم المحسوبة ضدهـــا ، وسواء ضد الانظمة العربية الرأسمالية ، أم الاشتراكية ؟ هل يقنع العرب ـ جميع العرب ، بأن هذه حقاً ، لا تجاوز فيه ولا مبالغة ، هي معركة المصير بالنسبة إليهم جميعاً ، وأنهـــا بالتالى معركة الكل لا معركة الفلسطينيين ؟

ان أول وأشد مـا نحتاج اليه الآن هو التبصير بهذه الحقائق . واعتقد أن فكرة الدولة الفلسطينية تشوش على هذه الحاجات ، في الظرف الراهن ، وأنها بالتالي ، سابقة لأوانها ..

٧ ـــ الارض والشعب أولاً

بقلم : مازن البندك

رأي الاخ الاستاذ احمد بهاء الدين بانشاء دولةفلسطينية اقتراح يبعث الذكريات ويثير الشجن ويدير الرأس بدوامة من الآمال والاحلام والتحسر . قبل بضعة أشهر كان يجيء هذا الاقتراح وهنالك بعد بقايا أرض من فلسطين يقيم عليها شعب فلسطين وترتفع فيه ارادة عربية. أما اليوم فالارض الفلسطينية كلها قد احتلت والشعب الفلسطيني كله يعيش تحت الاحتلال أو في المنفى .

هذه الحقيقة المرة تفرض أسئلة ملحة تنبع من اقتراح انشاء دولة فلسطينية في هذا الظرف بالذات :

السؤال الأول : ما هي حقيقة المشكلة الفلسطينية ؟ هل هي الارض التي احتلت والشعب المغلوب على أمره وفرض عليه ذل الاحتلال ومرارة المنفى ؟ أم هي انشاء

دولة عربيـة جديرة ، لها عَلم وحدود ولها اسم ينضم لبقية الاسماء ؟

السؤال الثاني : ما هو المطلوب حالياً ، وما هي المهام التي تفرضها الظروف القاسية التي نحياها ؟ وهل المهـــام المفروضة علينا تفسح مجالاً لمهام أخرى متأخرة قد تعوق إثارتها المهام الاساسية والعاجلة !

والسؤال الثالث : بعد أن يقال كل شيء ، مـــا هي الطريقة العملية التي تضمن ولادة دولة فلسطينية في هذه الظروف دون أن تثير كافة القضايا التي كان يثيرها العمل الفلسطيني في السابق ؟ حتى لا نجد أنفسنا ونحن نبدأ من جديد ونعيد فصول مأساة العمـل الفلسطيني من الفصل الاخير !

فالقضية الفلسطينية أولاً وأخيراً تعـــني الخطر الصهيوني الذي استطاع حتى الآن ان يحقق غزواً بشريـاً في أرض فلسطين والمرتفعات السورية وسيناء .

طبعـاً هناك مأساة فلسطين وعرب فلسطين ، ونحن اليوم نواجه العـالم بوجهة نظر انسانية ومعقولة ، وهي أن قضية فلسطين هي قضية شعب طرد من أرضه وصودرت

ارادته . وهي وجهة نظر حقيقية تلائم الميدان الدولي بدون أن تتعارض مع تكملة وجهة نظرنا الاخرى التي تعتقد ، جزماً ، بأن اسرائيل دولة توسعية .

ويجب الاعتراف بأن النكسة الاخيرة ، ضمن حدود الوطن العربي ، قد خرجت بالقضية الفلسطينية من حدودها الفلسطينية إلى حدود عربية شاملة وبشكل نهائي. وهذا لا يعني أن القضية الفلسطينية لم تكن عربية في السابق ، ولكنها لم تكن قضية عربية تعيش في وجدان كل عربي وتثقل ضميره وقلبه وعقله كما هي اليوم .

فالقضية هي : خطر وغزو صهيوني يواجه الامة العربية كلها ، وغزو صهيوني قد حقق أهدافه فعلاً في فلسطين كلها وفي أجزاء من البلاد العربية الاخرى .

فما هي المهام المطلوبة في هذه المرحلة ؟

باختصار ، أولاً تصفية آثار عدوان ٥ يونيو ، وثانياً الاستمرار في الاعداد لتصفية العدوان الصهيوني من أساسه.

والشعب الفلسطيني في هذه المرحلة مطالب بأن يعيش حياة الجندي المقاتل في الخندق الأمامي . فالمطلوب ، اذن ، هو قيام حركة فلسطينية شعبية تقاوم الاحتلال

الصهيوني ، كجزء من المعركة الشاملة المقبلة التي يجب أن تواجه فيها سلطات اسرائيل نارين من الداخل والخارج .

وعلى هذا الاساس ، فان اقتراح قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة والاردن ، هو تجاوز كبير للواقع الحالي . فمن حسن النية أن نفترض امكانية حصولنا تقريباً ، أو بدون حرب ، على حل يضمن عودتنا إلى حدود ٥ يونيو ، وهي الحالة الوحيدة التي يصبح فيها مكان لمثل هذا الاقتراح . ولعل الأنسب ان نواجه قضية ازالة آثار العدوان قبل أن نواجه مشاكل ما بعد انهاء آثار العدوان .

وليس صحيحاً أن انشاء حكومة فلسطينية وإعادة اسم فلسطين كفيل بحفظ حقوقنا في فلسطين . ففي تاريخ شعوب العالم جميعاً ، التي قدر لها أن تعيش في ظل الاحتلال ، لم تكن هناك حكومات وبقيت هناك شعوب استطاعت بصمودها ونضالها وقتالها الدامي أن تحتفظ بهويتها القومية . فاسم فلسطين لا يمكن الاحتفاظ به بانشاء دولة تحمل اسم فلسطين ، بل لعل دولة بهذا الاسم تهيىء لها أسباب الغفو والنوم عدم المطالبة بالبقية ، ولكن الطريق الوحيد للاحتفاظ بفلسطين، اسماً وشعباً وأرضاً ،

هو المقاومة والمقاومة والمقاومة .

ان المهمة الاساسية في المرحلة الحالية هي دفع العمل الفلسطيني إلى الحد الاقصى .

فهل انشاء حكومة فلسطينية هو الذي يضمن ذلك ؟

ان انشاء الدولة قد لا يضمن ذلك .

ولنواجه القضية من الناحية العملية ، وكما يقول هارولد لاسكي في واحدة من أشهر محاضراته : ان افتقار أي مشروع أو برنامج إلى « التكنيك » الذي يضمن تنفيذه مساو لعدمه . ونحن لا نملك حتى الآن « تكنيكاً » لانشاء الدولة الفلسطينية يجمع في نفس الوقت بين دفع العمل الفلسطيني إلى الحد الاقصى وبين النظام الذي يتحمل ذلك ويقبل به . ومرة أخرى ، تجاوز الاستاذ بهاء هذه النقطة في الوقت الذي يجب أن تنسى فيه تناقضات وصراع العمل الفلسطيني في كل تاريخه في العشرين سنة الاخيرة من ناحية وحدود وطاقات وقدرات « النظام » .

المسألة هي المقاومة ، والمقاومة ، فلسطينياً على الأقل، لا تحتاج إلى دولة أو حكومة أو نظام !

٨ ــ مطلوب دولة متمردة

بقلم · مصفى الحسيني

الاقتراح المحدد ، باقامة « دولة فلسطينية » في كل من الاردن وغزة ، والذي قدمه الاستاذ أحمد بهاء الدين على صفحات «المصور» ، لا شك انه يقدم بداية جديدة وايجابية في التفكير والمسلك السياسي العربي تجاه قضية فلسطين .

ولقد اعتاد التفكير والمسلك السياسي العربي تجاه قضية فلسطين ، طوال السنوات العشرين الماضية ، أن يقف مستسلماً لعدة محاذير ، حالت دونه ودون تبني الفكرة التي طرحها الاستاذ بهاء في مقاله الأخير ، والتي كان يمكن أن تكون أساساً لعمل فلسطيني أكثر ثورية وأكثر جدوى ، لو طرحت ثم قبلت ثم نفذت منذ لحظة وقوع النكبة .

ومن المفيد الآن ، وقد طرح هذا « الاقتراح المحدد » أن نستعرض أهم هذه المحاذير التي قيدت الفكر والمسلك

السياسي العربي ، وأن نناقشها .

وأهم هذه المحاذير فيما نرى أربعة :

١ ـ أن يكون في انشاء دولة فلسطينية على ما تبقى من أراضي فلسطين اعتراف بقررات الامم المتحدة لتقسيم فلسطين .

ويمكن أن يتخطى المسلك السياسي العربي ، هـذه الفكرة ، بأن يتضمن اعلان انشاء الدولة الفلسطينية ، ويتضمن دستورها وكافة قوانينها الاساسية ، بياناً واضحاً بأن الدولة الفلسطينية تزعم لنفسها حقوق السيادة على كامل الاراضي الفلسطينية ، حسب حدودها التي كانت قائمة قبل فرض الانتداب .

٢ ـ أن تقع هذه الدولة الفلسطينية بمجرد انشائها في شرك مقاييس « الشرعية » السائدة في المجتمع الدولي، وهو ما تقع فيه الدول العربية الآن فيما يتعلق بموقفها من قضية الوجود الاسرائيلي .

والمخرج من ذلك هـو أن توطن الدولة الفلسطينية نفسها منذ لحظة الميلاد ، على البقاء خارج المجتمع الدولي الرسمي . بمعنى ألا تسعى لعضوية المجتمع الدولي بمعنـاه

القانوني الواسع . ألا تسعى مثلاً إلى اكتساب عضوية الأمم المتحدة . وليس معنى ذلك أن على الدولة الفلسطينية أن تعيش في عزلة كاملة عن العالم، انما معناه أن تعيش في عزلة نسبية. فلا شك أن الدولة الفلسطينية ستحصل على اعتراف عدد محدود من الدول، ومثل هذا الاعتراف سيضمن قبولاً «للوضع الخـاص» لهذه الدولة. كما أن الدولة الفلسطينية ستدخل بغير شك، وبحكم الأمر الواقع، في علاقات «واقعية» مع الكثير من دول العالم، علاقات اقتصادية وعلاقـــات ثقافية ..

وهو أمر له سلبياته الكثيرة ، ولكنها جميعهـا ، مع خطورتها ، سلبيات يمكن التغاضي عنها ، في سبيل تحرير الدولة الفلسطينية ـ القـاعدة ، من مقاييس « الشرعية » السائدة في المجتمع الدولي .

٣ ـ ان هذه الدولة الفلسطينية ، يمـكن أن تتحول ، بحكم تركيبها الداخلي ، أو بحكم ما يحيط بها من ظروف ـ ظروف عربية بالذات ـ إلى قيد على قـدرة وحرية العمل الفلسطيني من أجـــل تحرير « الجزء المحتل » من أرض فلسطين .

وفي هذا المجال لا بد من تحديد نقطتين :

أ ـ من حيث التركيب الداخلي للدولة الفلسطينية ، لا بد وأن نقر بأن نظام الحكم مهم جداً . صحيح انه من الناحية النظرية نستطيع أن نقول « فليوجد الوطن أولاً ، وبعد ذلك فلنتفق أو نختلف حول نظام الحكم » ، وصحيح ان هذا القول صحيح أيضاً في التطبيق بالنسبة لنشأة الدول عموماً ، لكنه في حالة فلسطين بالذات لا ينطبق ، ببساطة لأن الدولة هنا توجد لهدف محدد عليها أن تعمل من أجله منذ لحظة ميلادها ، مطلوب أن تكون « دولة ـ قاعدة محاربة » .

ب ـ من حيث العلاقات مع الدول العربية الأخرى ، يجب أن تقوم هذه العلاقات على أسس واضحة ومستقرة ، بحيث لا يتأثر وضع الدولة الفلسطينية وقدرتها على العمل في سبيل هدفها ، بالخلافات الحتمية في الوطن العربي المحيط بها ، ولا بتقلبات السياسة العربية ..

وهذا بلا شك التزام رئيسي على الدول العربية جميعاً ، لكن ضمانته الحقيقية ستكون في يد هذه الدولة الفلسطينية عندما توجد. فبقدر ما توفر هذه الدولة الفلسطينية لنفسها

من قدرات وطاقات ثوريـــة ، بقدر ما تعزل التاثيرات الضارة بهدفها لتقلبات السياسات العربية .

ولعل مثال الثورة الجزائرية يكون مفيداً في هـــذا المجال،فقد استمرت الثورة الجزائرية سبع سنوات ، كانت مسرحاً حافلاً للصراعات والخلافات العربية ، ولكن قيادة الثورة الجزائرية ، استطاعت أن تعزل ما بين الثورة الجزائرية وما بين الآثار الضارة لتلك الصراعات والخلافات العربية ، لسبب رئيسي ويكاد يكون وحيداً ، هو انها كانت تعتمد على وزن ثوري حقيقي داخل الجزائر نفسها.

٤ ـ ان هذه الدولة الفلسطينية ، بمجرد أن توجد ، بالشروط والمقومات السابقة ، ستكون هدفاً دائماً ومباشراً للعدوان الاسرائيلي ، ومن هذه الناحية سيجد العدوان الاسرائيلي نقطتين لصالحه، الأولى : أن الدولة الفلسطينية تعلن عزمها على تصفية الوجود الاسرائيلي . والثانية : عزلة هذه الدولة الفلسطينية نسبياً عن المجتمع الدولي .

وهذه النقطة بالذات هي أصعب وأدق ما يواجه وجود دولة فلسطينية من محاذير ، وهي أشد هذه المحاذير استعصاء على الحل .

لكن التفكير في حلها يمكن أن يبدأ من اعادة ترتيب أولويات الأمور بالنسبة للقضية الفلسطينية .

ان للعمل الفلسطيني جبهات أو مجالات أو مستويات ثلاثاً :

أ ــ داخل اسرائيل بالأقلية العربية التي تعيش فيها.

ب ــ على أرض « الدولة الفلسطينية » المقترحة .

جـ ــ الدول العربية .

والترتيب الحالي للعمل الفلسطيني يجري على الأولويات التالية :

أ ــ عمل عربي تقوم به الدول العربية .

ب ــ على الفلسطينيين أن يتحركوا في نطاق مخطط هـذا العمل العربي الذي تضعه وتحمل مسئوليته الدول العربية .

جـ ــ بعد ذلك هناك اهمال تام للعمل داخل اسرائيل والأقلية العربية التي تعيش فيها .

مع أن الترتيب المنطقي والطبيعي لا بد أن يتبع التسلسل التالي :

أ ــ ان تحرير أي جزء محتل من أي وطن يقع عبء

اطلاق شرارته أساساً على أبناء هذا الوطن الذين يعيشون داخل هذا الجزء المحتل ، ان لم يـكن لأي سبب ، فلسبب أنهم،ومهما كانت قسوة الظروف التي يعيشونها وشدةالقيود التي تفرض عليهم،هم الأقدر على ضرب قوة العدو وقدرته.

وهذا التصور ليس ضرباً من الخيال،فمنذ حوالي ثلاث سنوات ، حاكمت اسرائيل خمسين من سكانها الفلسطينيين بتهمة انشاء قيادة منظمة معادية اسمها الأرض . .

ولقد كانت هذه اشارة كافية إلى الخط الصحيح للعمل الفلسطيني ، لكن أحداً لم يكد يلتفت اليها .

وفي هـــذا المجال ، لا بد أن نقر بأن العمل الفدائي الفلسطيني طول العشرين سنة الماضية بكل شجاعته وجلاله وشموخه ، كان عملاً انفعالياً على نحو ما ، ببساطة لأنه لم يخلق له قاعدة داخل أرض العدو ، لم يستثمر مجالاً بشرياً خصباً وصالحاً قوامه ٢٥٠ ألف فلسطيني يعيشون داخل اسرائيل . .

ب ـ ان هذا العمل التحريري داخل الارض المحتلة ، يحتاج الى قاعدة استراتيجية يستمد منها باستمرار كل مـا يحتاج اليه لـكي يستمر وتتجدد قواه . والدولة الفلسطينية

المقترحة ، هي هذه القاعدة الاستراتيجية .

ومعنى هذا أنه سيكون على الدول العربية التزام قد يصل الى حد « إعالة » الدولة الفلسطينية المقترحة .

وأذكر أكثر من مناسبة ، سأل بعض الصحفيين فيها قادة منظمة التحرير لماذا لا يحتذون مثل فيتنام ، وفي كل مرة كان جواب قادة منظمة التحرير : نريد فيتناماً شمالية !

ولعل اقتراح إقامة « دولة فلسطينية » يقدم هـــذه « الفيتنام الشمالية » .

٩ ـــ ولو خسرنا ميزانية وكالة الاغاثة !

بقلم فايز قنديل

من البديهي ان الدولة الفلسطينبة المقترحة مشروع شعبي.. أعني انه يتحقق بالثورة الشعبية التي بدأت براعمها النارية بالتفتح في الأرض المحتلة ، أو أن هذا هو الطريق ، وليس الطريق الرسمي والوفاق بين الحكومات .

ومنذ تطايرت السحابة الاولى من المناشير أثناء زيارة « نيلز جوران جاسينج » وأنست ثلمان مبعوثي أوثانت الى القدس، كان لا بد من التفكير بخطة مرحلية تكون منهاجاً للثورة الفلسطينية التي لا تزال بعد مجرد مقاومة ، وعدم تعاون مع الغزاة وان يكن مسلحاً .. وكانت خطوط أفكار مشابهة لمشروع الاستاذ أحمد بهاء الدين، تدور في كل الرءوس تقريباً ، منذ ذلك الوقت المبكر .. لا اعتقد إذن أن هناك من يرفض هذا المشروع رفضاً نهائياً وإن كان

هناك من يفكر بتحفظين ، واذا شئت احتراسين ، الاول مدى تأثير هـــذا المشروع في مستقبل الوحدة العربية ، والثاني هو تأثير المشروع في قضية اللاجئين .. والأفضل أن نتناول التأثير المباشر ، وهو قضية اللاجئـين . ماذا نكسب ببقاء قضية اللاجئين في شكلها الراهن ؟ لا شيء إلا ادراج رمزي سطحي فخري في جدول أعمــال اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العـامة للأمم المتحدة ، يبدأ بقراءة تقرير مدير وكالة الاغاثة ، ثم مناقشات مزرية تتعلق بميزانية الوكالة . ومهما أخفينا الوجه الخجول بين أكفنا المضمومة ، فان هـذه المناقشات توحي إن لم تقطع بانها بحث في مصير شعب عاجز. أفضل ألف مرة أن نغلق هـذا الباب الدولي غير الكريم ، وأفضل كذلك ألف مرة أن نحرر هذا الشعب المجاهد من أغلال الإغاثة الدولية ، بما تحمله من مذلة ، وتحوله الى شعب مناضل عامل منتج يعرف ان حياتـه وانتاجه وسيلة لغاية محددة هي خوض المعركة عندما تحين لحظتها . قد نخسر إذن تقرير مدير وكالة الإغاثـة ، وقد نخسر بنـداً غـــير مفيد في جدول أعمـــال الأمم المتحدة ، ولكننا نربح الشعب

الفلسطيني ..

ومحذور آخر يتعلق بهذا هو شبح التوطين .. هنا أعتقد ألا محذور ، فنحن نقاوم مشروعات التوطين لخطورتها على مستقبل قضية فلسطين ، وما دامت الدولة المقترحة ليس لها إلا هدف واحد هو التحرير ، فلا خوف إذن من هذا المحذور ، وسوف يكون مفهوماً أن البند الأول في دستور هذه الدولة هو تحرير فلسطين من البحر حتى النهر ، ومن رأس الناقورة الى رفح . أما التحفظ أو الاحتراس الثاني فهو تأثير هذه الدولة الجديدة في مستقبل الوحدة العربية .. والواقع أننا لسنا بحاجة الى دولة عربية جديدة ، ولكنه سيكون مفهوماً من البداية ، أن هذه الدولة وسيلة وليست غاية ، الغاية الأخيرة هي الوحدة العربية . وأما الضمانة لكي تظل هذه الدولة مجرد وسيلة دون ان تتحول الى غاية ، فانها هي الطاقة العربية التي سوف تنصب في هذه الدولة ، والتي بدونها لن يكون لهذه الدولة أية جدوى أو فاعلية ..

أعود الى ما سبق أن افترضته في البداية ، وهو أن هذه الدولة لن تتحقق إلا عن طريق الشعب ، ولم أقصد

بهـــذا الافتراض ان أفاضل بين الطاقة الشعبية والطاقة الرسمية .. كلا كنت أعني اسرائيل التي طالما توعدت قبل الخامس من حزيران بأنها لن تقف مكتوفة الأيدي ازاء أي تغيير يمكن أن يحصل في البلاد العربيـة .. ان الثورة الشعبية هي التي تجعل اعتراضات اسرائيل شيئاً بلا قيمة، فالثورة تعمل لإجـلاء العدوان الاسرائيلي دون قيد أو شرط ومن المؤكد ان اسرائيل إن خرجت من الضفـــة الغربية وقطاع غزة ، بالثورة، فانها ستخرج محطمة مهشمة عاجزة عن فرض القيود والشروط ..

القسم الخامس

الطريق الى دولة فلسطين

الطريق الى دولة فلسطين

بقلم : احمد بهاء الدين

- ١ -

كمقدمة لهذا الحديث ، أقول : اننـــا يجب ألا نخشى المناقشة أو نتهيبها. ولا يجب أن نسمي كل محاولة للتفكير بصوت مرتفع تشويشاً أو بلبلة . وإذا كان السكوت والصمت يعطي « مظهراً » للوحدة والقوة ، فانه كما ثبت أخيراً ـ إنمـــا يخفي « حقيقة » من الضعف وعدم الوضوح الفكري . فلنتعود المناقشة والتفكير بصوت عال في أكثر الموضوعات حيوية . إن هذا لا يخلق بلبـلة ولا يهز التصميم أو وحدة الصفوف . انه على العكس يجعـل أفكارنا وخطوتنا في حالة تبلور مستمرة . وقد ثبت أن أكبر نقطة من نقاط الضعف العربي العام هو عدم القدرة

على الوضوح والنظر إلى الحقائق الأساسية في عينهـــا والتصرف بناء عليها .

وأقول : إنني أعتقد ــ وهذا رأيي الخاص بالطبـع ولا يفرض نفسه على المناقشة ـ ان مناقشة موضوع تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية ، يكاد يكون خارجاً عن دائرة البحث في هذا الجدل . فليس وارداً فيما أعتقد بين المتناقشين أي خلاف حول قضية تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية كأهداف نهائية شاملة . إنمـــا الوارد هو البحث عن أفكار محددة إزاء ظروف محددة وفي مرحلة محددة . ان جر الحديث إلى الأهداف النهائيـة الكبرى في ظروف النكسة الراهنة هو قفز نظري فوق الموقف المحدد الذي يواجهنا ، وهو في أحسن الأحوال الاكتفـاء ــ مرة أخرى ــ بسياسة ترديد الشعارات ، وحين نهاجم سياسة الشعارات ، ليس لأن الشعارات خاطئة أو غير سليمة . ولكن وجه النقد هو أن نقف عند حد ترديد الشعارات ، دون أن نقرن الشعار بتقليب أعماقـــه وتحديد مراحله واستكشاف الخطوات الجزئية التفصيلية المؤدية إليه .

فلكي يكون البحث مفيـداً يجب أن نتجنب

العموميات التي نعرفها جميعاً . ويجب أن نبدأ من النقطة التالية لتحديد الهدف النهائي ...

سيقال : إن هدف اسرائيل هو ضرب الشعوب العربية جميعاً وليس فلسطين فحسب ، وبالتالي فالقضية قضية العرب جميعاً وليست قضية شعب فلسطين وحده .

والرد : طبعاً ، وهل يقول أحد بغير ذلك . ولكن هل هذا ينفي أن هناك دولاً عربية شتى لا دولة عربية واحدة . هل هذا يجعل « قطع الشطرنج » فوق رقعة الصراع « قطعة واحدة » ؟.. كلا . انها أكثر من قطعة . كل قطعة لها إمكانية ولها دور ، ولا بد من حسن استخدام كل قطعة إلى أقصى ما نستطيع.

سيقال : إن الوحدة العربية هي الحل .

والرد : طبعاً . ولكن هذه هي النظرية الشاملة ، فيما يتعلق بالتحدي التاريخي بين العرب واسرائيل . ولكن الوحدة لن تتم بعصا سحرية . ونحن إزاء احتلال محدد قائم ما زال ساخناً ولا يمكن تركه ليبرد ويجمد في مواقعه .

سيقال : الحل هو المقاومة الفلسطينية المسلحة .

والرد : بالتأكيد ، هذه أهم الأوراق . ولكن حتى المقاومة الفلسطينية المسلحة ، ألا تحتاج إلى تحديد هدف محدد تصوب إليه ؟.. هل هدفها الراهن تحرير فلسطين؟. هذا وضع. هل هدفها الراهن تخليص الاراضي التي احتلت بعد ٥ يونيو ؟ هذا وضع آخر .

هكذا ، لا مفر من التحديد والنظر الى المشاكل في عينها ، والا نكون لم نتعلم من النكسة شيئاً .

حين نقول الحل السياسي أو الحل العسكري أو المقاومة المسلحة ، لا بد أن نقرن هذا بصفة تقريبية لهدف مرحلي محدد وقاطع . هذا هو الأسلوب الوحيد للحركة الى أمام .

بعد هذا ، لا شك في أن الهدف المرحلي المحدد المعترف به بين كافة الصفوف العربية الآن هو : إزالة آثار العدوان.

ولهذا الهدف يجب أن يكرس الآن الجهد السياسي والعسكري ، الرسمي والشعبي ، النظامي وغير النظامي..

ثم يجيء هذا الاقتراح باقامة دولة فلسطين ، اقتراح يزعم لنفسه أنه ليس منفصلاً تماماً عن ازالة آثار العدوان. يمكن أن يكون قراراً معلناً ومكرساً من الآن ، ويمكن

أن يكون قراراً تالياً مباشرة لإزالة آثار العدوان ... اقتراح يزعم لنفسه أنه يضع العمل الفلسطيني والعربي على طريق جديد – ولكنه بديهي ! – من الآن ، وانـــه يملأ ساعة انجـاز مهمة آثار العدوان بعمل ايجـابي بدلاً من أن تـكون مجرد ساعة لمسح الجراح ، والتأمل الذي قد يقودنا الى التجمـد من جديـــد في أسار الخنادق القديمة العقيمة .

هل هـذا الاقتراح – الآن – يعطل جهد إزالة آثار العدوان ؟

هذا سؤال محدد قابل للبحث ...

هل هذا الاقتراح – الآن – سابق لأوانه ؟..

هذا أيضاً سؤال محدد قابل للبحث .

هل لهذا الاقتراح – في حالة العمل به – مردود سلبي على أساس القضية ذاتها ؟

هذا أيضاً سؤال من واجبنـا أن نتأمله في تدقيق وإسهاب .

والحق، ان معظم التخوفات تتركز على هذين السؤالين.

ولكنني أردت فقط أن أزيح من طريق المناقشة بعض العموميات والعودة الى تذكيرنا بالأهداف الشاملة . فما أظن واحداً من الذين يتناقشون – أو حتى يقرؤن المناقشة – يختلفون عليها .

بعد هذا ، أحب أن أزيح عن طريق المناقشة بعض الشكوك الخاصة :

فالاستاذ الكبير برهان الدجاني يتساءل عما اذا كان لهذا الاقتراح « صلة عضوية » بمؤتمر الخرطوم أو بحل سياسي معين . والرد هو أن هذا الاقتراح ليس له أي « صلة عضوية » بأي مؤتمر . وان كان الاقتراح يتمنى لو تبنّاه أي مؤتمر . كما أنه ليست له أي صلة بأي حل سياسي معين ، وان كان يزعم لنفسه أنه مناسب ولازم ومكمل لأي حل سياسي أو عسكري مقبول .

والقول بأن الاقتراح يثير أو أثار بلبلة في الضفة الغربية مردود عليه بما قاله الاستاذ برهان الدجاني نفسه . فهو يقول « .. إذا علمنا بأن الجانب الأكبر من القوى الوطنية التي تنادي بالعودة الى الكيان الاردني يتكون من

فئات كان الحكم الاردني ينظر اليها بعين الريبة والجفاء ، أمكننـــا أن نتصور أن هناك أسباباً قوية من المصلحة الوطنية تفرض هذا الموقف » ان هذا يدل على نضج عظيم وتقدير دقيق للمسؤولية إزاء الأخطار الرهيبة المحدقة . وهل يربطهم الاقتراح بكيان غير الاردن ؟ . انه يربطهم بالاردن ، وباجزاء أخرى فلسطينية غـــير الاردن ... ويعلي الكيـان الراهن خطوة أخرى عربياً وفلسطينياً ونضالياً .

والقول ـ استطراداً مع حديث الاستاذ برهان الدجاني ـ « .. وبخاصة أن الجانب الاسرائيلي هو الذي ينادي بفكرة « الكيان الفلسطيني ضمن اسرائيل » التي يمكن أن تتطور بفعل الشد والجذب الدوليين الى إحياء فكرة « دولة شرق الاردن » ..

.. وما نشرته الصحف من أن « فريقـــاً من أعيان العرب في الضفة الغربيـة برئاسة الدكتور حمدي تاجي الفاروقي سيوجهون نداء لانشاء دولة فلسطينية من الضفة الغربية وغزة فقط ، تشرف عليها الأمم المتحدة ثم الجامعة

العربية وتكون محايدة بين العرب واسرائيل » .

ذاك القول وهذا الخبر .. انما يعزز كل منهما الاقتراح ولا يضعفه ..

ان أبلغ رد على محاولة عمل « كيان فلسطيني مرتبط باسرائيل أو محايد بينهـا وبين سائر الدول العربية » .. هو المبادرة الى عمل كيان فلسطيني مرتبط باقرب وألصق قطر عربي ، وبالتالي مرتبط بالدول العربية كلها ..

ان ابلغ ردّ على المناورة الاسرائيلية ، اذا كانت تريد حقاً المتاجرة بانها تقبل إقامة دولة فلسطينية مرتبطة بها ، لا يكون إلا باقامة دولة فلسطينية تختار ارتباطها الطبيعي بحرية ، أي مرتبطة بالعرب ..

وما أتعسها من ساعة ، لو استطاعت اسرائيل ، ولو على سبيل المتاجرة والمناورة ، أن تسبق وتقف وتقول : أنا أعرض إقامة وطن فلسطيني ... والعرب لا يسبقون باقامة هذا الوطن وتشكيله الشكل السليم وتوجيهه الوجهة النضالية الصحيحة ..

ومع ذلك ، فالاقتراح ليس مجرد رد فعل يقصد بـه

سبق اسرائيل فحسب ، بل انه اقتراح قائم بذاته وبشكل ايجابي تماماً .. وهو ليس بجديد على الذهن العربي .. وان كانت المناورة الاسرائيلية تؤكد أهميته وضرورته ...

يبقى تحفظ هام بالفعل : ان العمل الفلسطيني النضالي قد يلقى تشجيعاً من الدول العربية - وأوضاعها شتى - في ظروف محددة ، ولكنها غير مضمونة . ولكن ، مرة أخرى ، أليس هذا أدعى لأن نجعل « الكيان الفلسطيني » شيئاً أقوى من « حكومة عموم فلسطين » الوهمية ، ومن « منظمة » ليس لها أرض ؟ ..

اعتراض آخر هام : ماذا يغير اعلان دولة فلسطين في ولاء الفلسطيني أو في حماسه للقضية ! ان الولاء موجود والحماس موجود ...

نعم ، ولكن غير الموجود هو « الوعاء » الذي يتجمع فيه هذا الولاء والحماس ويتوهج من خلاله ... « القناة » التي تحوله من ماء تمتصه الرمال إلى « تيار » ينحت مجرى محدداً ...

مثلاً :

لقــــد تحدثت عن عودة الفلسطينيين إلى فلسطين ، وقلت انها ليست عودة مباشرة ولا حماسية ولكنها تدريجية. وانه حتى إذا أخذت العودة زمناً فعلى الأقل نقف «الترك» و « الابتعـــاد » الذي لا يتسبب فيه قـلة الولاء ولا قلة الحماس ، ولكن سوء الوضع واختناق امـكانيات الوجود والنماء ...

ولـكن .. حتى الفلسطيني الذي لن يعود بالضرورة فوراً ، الفلسطيني الذي يعيش بلا « جنسية » و «باسبور » ولا « رعاية » دولة معينة : اننا نعرف أي ظروف يلقاها وأي معاملة يقابلها في هــــذا البلد أو ذاك .. ولا داعي للافاضة . سيكون من حقه على الأقل أن يحمل جنسية بلده فوراً ويصبح رعية لها ، لأن هذا شرط أساسي من شروط اقـامة الدولة كما شرحته تفصيلاً من قبل ، وكل فلسطيني عاش حياة الغربة والنزوح والتشرد يعرف قيمة هـــذا وأهميته ومغزاه ...

الآنّ اسرائيل سلبت من هذا الفلسطيني « الأرض » ، تسلبه « المواطنية » و « الهوية » ؟ ...

لا تقولوا انه مواطن « عربي » حيث حـل في أي بلد عربي ... فهذا أيضاً تعامل مع كلمات لا مع حقـــائق .. فانتم تعرفون أن الحقيقة في ظروف كثيرة ، خلال تسع عشرة سنة ، لم تكن دائماً كذلك .

- ٢ -

مضى على نشر الاقتراح الخاص باقامـة دولة فلسطين شهر وبعض الشهر ..

خلال هذه المدة ، تلقيت عدداً ضخمـاً من المقالات والرسائل من شتى الأقطار والبيئات العربية . وتناقشت مع عدد كبير من المشتغلين بالقضايا العربية المصيرية بوجه عام والقضية الفلسطينية بوجه خاص ، وتلقيت أكثر من زيارة ممن يعانون القضية ، ومن بينهم بعض الذين يعيشون الآن محنـة الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية : أفراد حصلوا على إذن بمبارحة الضفة الغربية ثم بالعودة اليهـا .

وقد كانت هـذه المناقشات كلها ذات قيمة كبيرة .

فهي – بتاييدهـــا أو بتحفظاتها – أضافت الى الاقتراح وعدلت منه وشذبت فيه ونبهت الى بعض محاذيره – ولا توجد بادرة سياسية خالية من المحاذير ، إذ كما قلت دائماً لا يوجد لأي قضية مصيرية حل سحري مريح – على انه يجب من باب الأمانة نحو القضية ونحو حاجتنا الى النقد الصريح ، أن أسجل الى جانب هـــذه الصفة الايجابية الاساسية التي شملت المناقشة ، بعض الجوانب التي أرى انها سلبية .

من هذه الظواهر السلبية : هرب بعض المتناقشين من مواجهـــة المواقف المحددة عن طريق القفز مباشرة الى الشعارات العامة والأهداف النهائية . فحين نتحدث عن خطوة محددة في مرحلة محددة ، بقصد تقليب فوائدهـــا ومحاذيرها على ضوء كافة الظروف الطاغية التي تواجهنا ، فيرد قائل : ان هدفنا هو تحرير فلسطين .. فهذا يعتبر تجنباً للبحث ، وفراراً ، وتنصلاً من المسؤولية . وهذه ظاهرة سلبية ، معناها الوحيد أن تستمر الأمة العربية في اقامة « زار » كالذي يقيمه الدراويش ، يرددون فيه أغانيهم حتى يدوخوا .. دون أن يخطوا خطوة محددة

نحو هدف محدد .

تحرير فلسطين ، نعم . ولكن كيف ؟.. ومتى ؟.. وماذا يجب البدء به اليوم وماذا يجب أن يؤجل الى غد ؟..

الوحدة العربية الشاملة نعم. ولكن متى ؟ وكيف ؟. وهل يمكن أن ينتظر الموقف الراهن ؟

هذه هي القضية .

الظاهرة السلبية الثانية ، هي إجفال كثيرين من الفكرة لمجرد غرابتها – يا للغرابة أن يقال إنها فكرة غريبة . انها بديهية ! وقديمة !– أو بالأحرى لمجرد « صعوبة التحرك من المواقع القديمة » . هذا التفضيل المستمر للتشبث بالمواقع القديمة مهما تكلست وبان ضعفها ، لمجرد أنه أسهل وأسلم ، ظاهرة سلبية من ظواهر حياتنا العربية بوجه عام والفكرية بوجه خاص .

هذا العزوف بعضه يرجع الى مجرد التشبث بالعادات الفكرية القديمة ، وبعضه يمكن أن نصفه بصراحة بانه ينطبق عليه قول الاستاذ شفيق الحوت في مقاله حول الموضوع « .. إن المشروع المقترح – في حالة اقراره والمضي في تنفيذه – سيلغي أو سيغير على أقل تقدير عدداً

من الافكار السياسية والمؤسسات السياسية والاجتماعية ، التي رغم قصورها وعجزها استطاعت أن تؤمن نوعاً من الراحة والاستقرار للمنادين بها والمقيمين تحت راياتها . وليس من السهل أن يقبل هؤلاء على هذه النقلة الثورية الكبيرة ، حتى ولو كانت لصالحهم على المدى البعيد ، دون حدّ من المقامة الطبيعية ، بل الغريزية ، لرفض كل ما هو جديد » .

إنها العادات السلبية في حياتنا الصحفية ! وقد وضعت هذه العادات فوق أهمية القضية وارتباطها بالمستقبل العربي العام .

ما علينا !..

أعود الى جوهر الاقتراح ، والى الجوانب الايجابية التي أسفرت عنها المناقشة ، والمحاذير التي تحتاج الى ايضاح أو الى تأمل وتدبّر حقيقيين .

الواقع أن أحداً لم يعترض على جوهر الاقتراح في حد ذاته . الذين أيدوا الاقتراح تأييداً كاملاً ، والذين أوردوا بعض التحفظات ، لم يعترضوا على جوهر الفكرة . ولم ينازعوا في أن اقامة دولة فلسطين ، بمجرد ازالة آثار

العدوان ، كل مـا تبقى لدينا من فلسطين ، بالاضافة الى « شرق الاردن » .. لم ينازعوا في أن هـــذا هو الموضع الصحيح الذي يجب ان يوضع فيه العمل الفلسطيني وينطلق منه نحو المستقبل المعقدالطويل والتحديات الهائلة المقبلة..

أما التحفظات فكانت « خارج الاقتراح » ذاته . وقد تركزت عند عدة أسئلة محددة :

١ ـ ان هذا الاقتراح ـ الآن ـ سابق لأوانـه . وقد يحدث بلبلة ، خصوصاً في صفوف أبناء الأراضي المحتلة حالياً. وانه يمكن بحث الاقتراح بعد ازالة آثار العدوان.

٢ ـ ان نظام الحكم في الدولة المقترحة مسالة هامة ، وليست مسالة شكلية ، وهي عقبـــة أساسية في طريق تنفيذ الاقتراح .

٣ ـ ان اسرائيل تحاول ان تغذي في الضفـة الغربية اقتراحاً مشابهاً يدعو الى اقامة « كيان فلسطيني » مرتبط باسرائيل ..

فما هو القول في هذه الاقتراحات ؟

أولاً ـ حول « توقيت » الاقتراح

انني اعتقد وبعد أن قرأت وسمعت آراء الآخرين ـ

ان توقيت الاقتراح مناسب جداً . فاذا لم تجعلنا النكسة نتساءل ونفكر وننقد الطرق القديمة ونبحث عن مبادرات جديدة ونعود الى اصل القضية ، فماذا يمكن أن نستفيد من النكسة ؟

والقول بأن كل تفكير جدي في قضايانا ، وكل مناقشة عميقة حولها « يخلق بلبلة » هو عادة من عاداتنا الفكرية القديمة التي يجب ان نتخلص منها . فوصف كل مناقشة بأنها بلبلة أشبه بحكاية قفل باب الاجتهاد . ولم تكن لهذه العادة الفكرية البالية من نتيجة سوى منع التفكير والحوار ، والتجمد عند صيغ مقدسة لا تمس مهما كان خطؤها ظاهراً ... ووجود هوة كبيرة بين ما يكتب للناس علناً وما يتحدثون به في الجلسات والمقاهي والحلقات .

وقد يكون موضوع « البلبلة » وارداً اذا كان لهذا الجدل انعكاس على سكان الاراضي المحتلة الآن بالذات. وقد نشرت الزميلة اللبنانية « الانوار » مثلاً حديثاً مع أحد المشتركين في أعمال المقاومة المسلحة هناك ، فرد قائلاً « هناك مقاومة سياسيةضارية في الداخل لمشروع اسرائيلي

يدعو الى تشكيل دولة فلسطينية ، وأنا بالطبع أعرف الفارق الجذري بين المشروعين المتعاكسين .. المشروع الذي تطرحه اسرائيل والمشروع الذي تقترحه المجلة المصرية ، ولكن طرح مثل هذا المشروع الآن يجيء في وقت غير مبرر وغير حكيم ومن شانه أن يثير ضرراً مريراً في الصف العربي في الداخل الذي يقول « لا » لكل مشروع ليس على رأسه التحرير أولاً وأخيراً. ولغة السلاح الآن هي لغة الحوار . ولكنني أقولها همساً الآن : أنا مع هذا الاقتراح .. بعد تحرير الاراضي التي أغتصبت بعد ٥ يونيو ، وليس قبل ذلك أبداً » .

ومعنى كلام الأخ المقاوم في الداخل انه أولاً يوافق على الاقتراح ، ولكن بعد تحرير الاراضي التي اغتصبت في ٥ يونيو ، وانه ثانياً يرى انه لا سبيل لتحرير هذه الاراضي إلا القوة المسلحة .

وهذا عظيم . ولكن ، من قال إن الاقتراح يحدد الوسيلة ؟ . الاقتراح لا يقول ولا يتنبأ بأنه سيتم عن طريق حل سياسي أو حل عسكري . انه يتحدث عن هدف محدد لهذه المرحلة سواء كانت سياسية أو عسكرية ، هدف يرى

انه يكمل ويعمق هدف ازالة آثار العدوان وينقل القضية الفلسطينية نقلة أخرى .

ودراسة هذا الهدف لا تتعارض مع تنظيم مقاومة مسلحة تريد ازالة عدوان ٥ يونيو بالقوة المسلحة أو باي أسلوب آخر . كل حركات المقاومة المسلحة وجدت انه من الضروري لها ـ وهي تقاتل ـ أن تفكر وتعمق فكرها وتحدد هدفها وتبلوره . الجزائر عرفت خلال ثورتها المؤتمرات السياسية السرية والبرامج المفصلة.والفيت كونج يعرفون المؤتمرات السياسية والافكار والبرامج . ومانطلبه هنا أقل من هذا بكثير ..

ان ثقتي بازالة آثار عدوان ٥ يونيو لا حد لها . بالسلم أو بالحرب أو باي أسلوب . بيني وبين نفسي لا أضع هذا موضع شك أو مناقشة . لسبب بسيط هو أن العرب من المستحيل أن يقبلوا هذا الوضع ولو دارت الحرب عشرين سنة . وهذا ما يجب أن يستقر في أذهاننا وأذهان العالم . ربما كان لهذا الشعور انني أجد من الضروري أن يقترن صراعنا بتفكير جدي جديد وجريء بغير مواقع العمل واستراتيجيته ويخرجنا من خنادق الجمود وعدم الحركة

وعدم المبادرة وترك كل المبادرات السياسية والعسكرية للعـــدو .

ثانياً ـ ان قضية نظام الحـــكم قضية أساسية وليست قضية ثانوية .

ومن قـال انها قضية ثانوية ، ولكن السؤال الاساسي الذي يفرض نفسه على كل عامل في الحقل السياسي هو : ما هو الأهم فالمهم ؟ ..

ما هو شعار المقاومة في الضفة الغربية الآن ؟ .. انـه العودة إلى الكيان الاردني ! وهو شعار سلـــيم تماماً . ولم يناقشه وطني واحد . اذن فالاقتراح لا يخترع نظام حـكم جديد للدولة المقترحة . انه فقط يضيف اليها قطاع غزة ، ويضيف اليها ، وهذا أهم ، مواطنيـة كل فلسطيني في أي مكان من العالم ، سواء عـاد اليوم أو عاد غداً أو لم يعد . ولكنه سيحمل جنسية بلده لأول مرة بدلاً من وضعه الحالي الذي لا يحمـــل فيه أي جنسية كانت ، كما شرح الاخوة الفلسطينيون ابناء النكبة ممن ساهموا في هذا الحوار .

نحن اليوم لسنا في حاجة إلى أفـكار مجردة . اننـا في حاجة إلى أفكار وآراء ذات قيمة تطبيقيـة . وغير ذلك

يعد سفسطة ونضالاً كلامياً مقطوعاً عن أرض التطبيق والتنفيذ .

ثالثاً ـ ان هناك اقتراحاً آخر تدعو اليه اسرائيل ، بانشاء كيان فلسطيني من الاراضي التي احتلتها بعد ٥ يونيو ، يكون له استقلاله الداخلي ، ولكنه مرتبط مع اسرائيل في السياسة الخارجية والدفاع والاقتصاد . .

انني أسمح لنفسي أن أعبر عن دهشتي الشديدة من أن يقول عاقل ، إن هناك خلطاً بين المشروعين . ان من يقول بهذا انما يجرب ما يسمى في المحاكم بالاعتراضات الشكلية التي يراد بها عدم الدخول في الموضوع .

أحب أولاً أن أقول ، إن هذا الاقتراح الاسرائيلي أخطر وأسوأ مما لو قالت اسرائيل بجعل الاراضي المحتلة حديثاً جزءاً كاملاً من اسرائيل !

لأن ضم الاراضي المحتلة لاسرائيل يضم عدة مخاطر تخشاها اسرائيل . منها تغير نسبة عدد السكان ، وانهم سيطالبون بحقوق سياسية واقتصادية مساوية لحقوق المواطن الاسرائيلي . أي أن اسرائيل لن تكون اسرائيل. أما الاقتراح الآخر الذي تدعو اليه اسرائيل بكيان قائم

بذاته ولكنه تابع لاسرائيل ، فهذا حل أشبه بنظـــام التفرقة بين السود والبيض في جنوب افريقيا. ليس تفرقة عادية ولكنه خلق مجتمعين متجاورين ، أحدهما يستعمر الآخر ويستغله ويبقيه في درجة أقل منه، مع إبقاء الحاجز المطلق بين المجتمعين .

أي تلميذ في مدرسة اعدادية يمكن أن يختلط عليه الأمر بين هذا وبين القول بدولة فلسطينية مستقلة ، تقوم بمجرد زوال آثار العدوان وعلى أساس تحرير ما احتل بعد ٥ يونيو ، وتضم « شرق الاردن » ، وترتبط ـ طبعاً ـ بالدول العربية ... وتسترد بالتدريج كل الطاقـــات الفلسطينية المبعثرة المشتتة والتي تزداد تشتتاً وتبعثراً ...

بصراحة .. أنا لا آخذ هذا الاعتراض ـ احتمال الخلط بين الاقتراحين ـ على محمل الجد . وأكرر ما قلته ، من « أن أبلغ رد على محاولة عمـــل كيان فلسطيني مرتبط باسرائيل أو محايد بينها وبين سائر الدول العربية .. هو المبادرة الى إقامة دولة فلسطينية مرتبطة بأقرب وألصق قطر عربي ، ارتبطت به فعلاً من١٩ سنة، وبالتالي مرتبطة بالبلاد العربية كلها . وانه ما أتعسها من ساعة لو استطاعت

اسرائيل ، ولو على سبيل المناورة أن تسبق وتقول : أنا أعرض إقامة وطن فلسطيني .. والعرب لا يسبقون باقامة هـذا الوطن وتشكيله الشكل السليم وتوجيهه الوجهة النضالية الصحيحة » ...

إذن ؟..

يجب أن تقوم دولة فلسطين ، تضم مـا احتل بعد ٥ يونيو بالاضافة الى « شرق » الاردن وتكون هي نقطـة التجمع ، والقاعدة والتعبير المباشر عن الارادة .

يجب أن يستتبع ذلك إعادة شعب فلسطين، تدريجياً وبالاختيار وفي ظروف معقولة ، الى أرض فلسطين . أي يجب أن يكون الفلسطينيون لفلسطين ، حتى تكون فلسطين للفلسطينيين .

يجب أن يتوقف تبعثر الطاقات الفلسطينية بحكم الضياع وعدم الهوية والمخيمات، وأن يتحول الموج الى إقامة وبقاء وتعليم وتدريب وتسليح ..

يجب ألا تستمر الصورة السابقة : اسرائيل تحول مهاجريها الى مواطنين ملتصقين بالارض ، ونحن نحول أصحاب الارض الى مهاجرين .

هذا هو أول الطريق الحقيقي .. ووضع الاستعداد السليم .

أحمد بهاء الدين

فهرست

القسم الرابع

مناقشات أخرى :

القسم الخامس

هذا الكتاب

... « نحن مـــا نزال نعيش في ظل النكسة الرهيب ، ونحن بالتأكيد محتاجون الى السلاح والى الشباب الفدائي ؛ ولكننا بالتأكيد محتاجون ـ وبالقدر نفسه ـ الى ان نفكر ونتناقش بجرأة وشجاعة ...

« ان الوضع بالنسبة للشعب الفلسطيني طيلة العشرين عامـاً الماضية كان مقلوباً رأساً على عقب ، لا أقل من ذلك . أصبح الشعب الفلسطيني في المؤخرة ، لا في المقدمـــة بالنسبة لقضيته . خلت الساحة منه . شتته الصهيونيون ، ثم زاده العرب تشتيتاً ، حاولوا طمس شخصيته وانهاء قضيته ثم تركوا لنا انجاز باقي المهمة ...

« واقتراح دولة فلسطين ليس اكثر من المطالبة باعادة الامور الى نصابها . ليس اكثر من المطالبة بان يعود شعب فلسطين ، بأهله وقدراته وأرضه ، الى الوجود والى مكـــان الطليعة في هذه القضية بالذات . »

احمد بهاء الدين

الثمن : ٢٠٠ ق. ل. ـ ٢٦٠ ق

دار الهلال

الشركة الحديثة للطباعة